

# دراسات نقدية في الأدب الإسلامي

الدكتور السيد خليل باستان



طبعه دار المعلم للدراسات العلمية

# دراسات نقدية في الأدب الإسلامي

تأليف

الدكتور السيد خليل باستان



جامعة العلامة الطباطبائي - كلية الأدب



## الفهرس

الاهداء.....	.....
المقدمة .....	.....
تعريف النقد الادبي.....	.....
الفصل الأول: المواقف النقدية .....	.....
التمهيد.....	.....
الدرس الاول: وقفة مع العاطفة في نفح البلاغة .....	.....
مفاهيم العاطفة.....	.....
آراء و عواطف .....	.....
تحليل العاطفة .....	.....
الدرس الثاني: وقفة مع الخيال .....	.....
اولاً: آل البيت(ع) .....	.....
ثانياً : صفات المتقين .....	.....
اندماج العاطفة في الصورة .....	.....
ثالثاً : آيات المرفان .....	.....
عنصر الخيال والدعاء .....	.....
رابعاً : الصياد .....	.....
الخيال وعنصرا المباغطة والمحادعة .....	.....
خامساً : عصر الرسول(ص) .....	.....
الخيال الخصب .....	.....
سادساً : أسراء الإيمان .....	.....
الخيال الحلائق .....	.....
الدرس الثالث: وقفة مع القرآن الكريم .....	.....

فن التضمين .....	٣٤
تسع كلمات .....	٣٤
الحريري وأيات الجمال .....	٣٦
النصوص القرآنية في المقامات الحريرية .....	٣٧
المفاهيم القرآنية في المقامات الحريرية .....	٣٩
الأوزان والإسجاع القرآنية في المقامات الحريرية .....	٤٢
<b>الفصل الثاني: التحاليل النقدية .....</b>	<b>٤٥</b>
التمهيد .....	٤٧
الدرس الأول: نظرة أدبية إلى دعاء الصباح .....	٤٩
ال المناسبة وتوثيق النص .....	٤٩
الشرح .....	٥١
الأسلوب .....	٥٣
دروس وعبر .....	٥٣
العاطفة .....	٥٤
عنصر الخيال .....	٥٥
الألفاظ والمعاني .....	٥٦
الدرس الثاني: موقفان للكمبيت .....	٥٨
شاعر العقيدة .....	٥٨
صاحب الخصال العشرة .....	٥٩
شعره .....	٦٠
الهديد بالقتل .....	٦٠
الشاعر المناسبة .....	٦١
وقفة مع القصيدة .....	٦١
الموقفان .....	٦٣
الدرس الثالث: في رحاب دعمل المزراعي .....	٦٥
جهاد دعمل .....	٦٥
قول الحق .....	٦٥
مشاعر الغضب والحب .....	٦٦
موقف الكتاب من دعمل .....	٦٧
دعمل ونقاذه .....	٦٨
الديوان والمجاء .....	٦٩

# الفهرس ز

٧١	سهام هجو دعمل .....
٧٢	نحوه في الم جاء .....
٧٣	النويري والم جاء .....
٧٤	الكلمة الأخيرة .....
٧٥	الدرس الرابع: موازنة نقدية بين قصي دني عيد الأضحى والحدث الحمراء .....
٧٥	المتنبي في سطور .....
٧٥	أدب المتنبي .....
٧٧	مواضيعات فنه الشعري .....
٧٧	تار خنياً .....
٧٨	الموازنة .....
٧٨	القصي دنان .....
٨٢	توثيق النص .....
٨٥	اشراك المعان .....
٨٥	صفات المدلوج .....
٨٩	نقد رأي .....
٩٢	عنصر العاطفة .....
٩٤	مواضيعات متعددة .....
٩٦	هيكل القصي دتين .....
٩٧	وقفة مع ال كرم .....
٩٧	أهم البحوث .....
٩٨	أدوات التشبيه .....
٩٩	بحر القصيدة .....
٩٩	وحدة الموضوع .....
١٠٠	وقتاناً .....
١٠٢	ساحة القتال .....
١٠٤	الدرس الخامس: وقفة مع القصائد السبع .....
١٠٥	سوح القتال .....
١٠٨	المعانى المبكرة .....
١٠٩	عنصر العاطفة .....
١١٠	عنصر الخيال .....
١١٠	الاسلوب .....

١١١.	خاتمة المطاف .....
١١٢.	الدرس السادس: رحلة مع العنقاء .....
١١٣.	المشهد الأول: الرحلة السماوية .....
١١٤.	المشهد الثاني: الرحلة البحريّة .....
١١٥.	المشهد الثالث: الرحلة الأرضية .....
١١٥.	المشهد الرابع: نصائح .....
١١٥.	المشهد الخامس: التجرد .....
١١٦.	المشهد السادس: النوم .....
١١٧.	المشهد الأخير: الفصول الأربع .....
١١٧.	رسالة الأديب .....
١١٨.	التحليل النقدي .....
١١٨.	أولاً العاطفة .....
١١٩.	مشهد رابع .....
١٢١.	بلغ المستحيل .....
١٢٢.	ثانياً : الأسلوب .....
١٢٢.	ثالثاً : أثر القرآن .....
١٢٤.	وقفة مع الكلمات .....
١٢٥.	رابعاً الصورة .....
١٢٨.	سمو المعانى .....
١٢٨.	الكلمة الأخيرة .....
١٢٨.	نتيجة البحث .....
١٣١.	المصادر .....

## الاهداء

الي سيدى وسيد الانام  
الي مولاي ومولى أصحاب اليمان،  
امام الانس والجان ، وخير ابناء البشر،  
ولي الله في ارضه، وحجته على عباده،  
بقية الله الاعظم، الامام المنتظر (عج)،  
راجياً منه القبول، والشفاعة يوم الورود.

محبك خليل







## المقدمة

إن النقد الأدبي تزامن ظهوره فـن الشـعـر ، فـمن بـداـيـة الـأـدـب الـجـاهـلـي وـليـوـمـنـا هـذـا يـسـيرـ النـقـدـ تحتـ ظـلـ الـأـدـبـ أـيـنـما وـجـدـ . وـعـاـنـ الـأـدـبـ تـطـوـرـ خـلـالـ الـعـصـورـ السـالـفـةـ ، وـكـذـلـكـ تـطـوـرـ الـنـقـدـ ، فـمـنـ نـقـدـ يـعـتـمـدـ الـذـوقـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ إـلـىـ أـصـوـلـ وـمـبـادـيـ مـتـطـوـرـةـ فـيـ الـوقـتـ الـراـهـنـ، يـذـكـرـ أـنـ الـخـسـاءـ اـنـقـدـتـ حـسـنـاـ فـيـ قـوـلـهـ :

لـنـاـ الجـفـنـاتـ الـغـرـرـ يـلـمـعـنـ فـيـ الضـحـىـ وـأـسـيـافـنـاـ مـنـ نـجـدـ يـقـطـرـنـ دـمـاـ  
ناـقـدـةـ لـهـ بـقـوـلـهـ : إـنـ كـلـ شـيـءـ وـقـتـ الـضـحـىـ يـلـمـعـ بـوـاسـطـةـ أـشـعـةـ الشـمـسـ السـاطـعـةـ ، فـلـوـ قـلـتـ  
فـيـ الدـجـىـ لـكـانـ أـفـضـلـ ، لـأـنـ الـلـمـعـانـ فـيـ ظـلـمـةـ الـلـيـلـ يـعـدـ فـخـرـاـ لـاـ فـيـ النـهـارـ، ثـمـ أـنـكـ قـلـتـ :  
وـأـسـيـافـنـاـ يـقـطـرـنـ مـنـ نـجـدـ دـمـاـ ، بـمـاـ انـكـ فـيـ مـقـامـ الـمـدـحـ كـانـ مـنـ الـأـجـدـرـ بـكـ انـ تـقـولـ : سـيـوفـاـ -  
دـمـاءـ ، لـأـنـهـماـ تـدـلـانـ عـلـىـ الـكـثـرـ الـمـنـاسـبـةـ لـلـفـخـرـ .

وـأـمـاـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ الـعـصـرـ الـحـاضـرـ ، فـلـقـدـ تـطـوـرـتـ الـعـلـومـ وـالـفـنـونـ ، وـبـالـتـالـيـ دـخـلـ هـذـاـ التـطـوـرـ  
حـيـثـ الـنـقـدـ الـأـدـبـيـ أـيـضـاـ ، فـدـخـلـتـ الـعـلـومـ الـحـدـيـثـةـ فـيـ هـذـاـ الـجـالـلـ لـأـضـاءـةـ النـصـ مـنـ الـخـارـجـ مـنـ عـلـمـ  
نـفـسـ وـاجـتمـاعـ وـتـارـيخـ . . . . وـمـنـهـاـ مـاـ تـضـيـءـ النـصـ مـنـ الـدـاخـلـ مـنـ اـظـهـارـ الـعـاطـفـةـ  
وـالـخـيـالـ وـالـمعـانـيـ وـالـأـسـلـوبـ . . . .

هـذـاـ مـنـ جـهـةـ ، وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ اـحـتـوىـ مـوـضـوـعـ هـذـاـ الـكـتـابـ عـلـىـ فـصـلـيـنـ ، الـأـوـلـ الـمـاـوـاـقـفـ  
فـيـ الـنـقـدـ وـالـثـانـيـ تـحـالـلـ نـقـدـيـةـ .

هـذـاـ وـانـ جـالـ الـعـلـمـ فـيـ الـنـقـدـ الـأـدـبـيـ ماـ زـالـتـ أـبـواـبـ مـفـتوـحةـ أـمـامـ أـصـحـابـ الـذـوقـ وـأـرـبـابـ  
الـعـلـمـ ، رـاجـيـاـ مـنـهـمـ أـنـ يـغـفـرـوـلـيـ الزـلـةـ وـالـعـيـبـ ، فـلـلـهـ الـواـحـدـ الـقـهـارـ الـكـمالـ لـاـ غـيـرـ .

## تعريف النقد الأدبي

الـنـقـدـ الـأـدـبـيـ مـرـكـبـ مـنـ جـزـئـيـنـ الـأـوـلـ الـنـقـدـ ، وـالـثـانـيـ الـأـدـبـ ، فـالـنـقـدـ لـغـةـ مـأـخـوذـةـ مـنـ قـوـلـهـ نـقـدـ  
الـدـرـاهـمـ : يـعـنـيـ مـيـزـ الـدـرـاهـمـ السـالـمـةـ مـنـ الـمـغـشـوـشـةـ وـالـمـزـيفـةـ ، كـمـاـ يـصـنـعـ الـصـرـافـ .  
وـأـمـاـ الـأـدـبـ لـغـةـ فـلـقـدـ تـطـوـرـ مـعـنـاهـ مـعـ الـعـصـورـ الـمـتـوـالـيـةـ حـيـثـ اـتـسـمـ بـالـمـعـنـىـ الـإـلـاـقـيـ وـ

التعليمي... إلى الأخذ من كل علم بطرف، و أخيراً اطلق على صناعتي الشعر و الترجمتين بحيث يؤثر في عواطف السامعين و القراء.

اما النقد مصطلحاً: هو تقدير النصوص الأدبية التي تحتوت على عناصر الأدب (عاطفة، خيال، أسلوب...) سواءً كان شعراً أم نثراً، و اصدار حكم الجودة و الرداءة عليها. علماً ان ارباب النقد اختلقو في اصدار الحكم فمنهم من يرضي و منهم من يرفض ذلك، و لكل فرقة ادلة، فمن اراد فاليراجع كتب النقد الأدبي.

# **الفصل الأول: المواقف النقدية**

**التمهيد**

**الدرس الاول : وقفة مع العاطفة**

**الدرس الثاني : وقفة مع الخيال**

**الدرس الثالث : وقفة مع الحريري**







## التمهيد

على الناقد ان يعلم :

- ١- أن القرآن الكريم ما زال ولا زال يشعُ نوره على الأدب منذ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا ، فالأدباء عرباً وغير عرب إستعنوا بظلّه فاعتلى نتاجهم الأدبي وبقى حياً ، وأنَّ اكتساب الأدب حلية من القرآن الكريم ما هو إلا فخر عظيم للقائل وللمستمع ، وتعُد هذه الصناعة من أشهر الصناعات البلاغية التي تسمى بالإقتباس من نور القرآن العظيم ، فلا بدّ لكلّ ناقد ان يحيط بهذا الكتاب الكريم من حيث المعاني والأسلوب والكلمات و . . . حتى يمكنه ان يزن الأدب والأديب بهذا المعيار القويم .
- ٢- أنَّ من أبرز عناصر الأدب وعامل بقائه حياً إلى الأبد، هي العاطفة أو المشاعر المرهفة ، فكلّما كان الكلام قريباً من العاطفة بعيداً عن العقل الذي يرتكز عليه العلم كان الكلام فتاً أدبياً ذا جمال ، فمن أجمل ذلك جئنا بكلمات نبسط القول في العاطفة ، واتينا بشواهد من نجح البلاغة الملي بالعواطف والأحساس .
- ٣- إن العاطفة تعدّ ظاهراً للأدب والخيال باطنها ، فباليحال تسموا المعاني وتتضاح المقاصد والأهداف ، ويتوصل إلى المسائل العقلية العويصة عن طريق تصويرها بالمحسوسات القريبة إلى الافهام ، والإدراك ، ومن أبرز مصاديق هذا الكلام هو نجح البلاغة فجئنا بأمثلة على ذلك كما سنرى بعد قليل .
- ٤- إن الأسلوب هو طريقة الاداء لنقل ما في النفس من معانٍ في عبارات لغوية فنية ، و يبرز بمحتواه الادبي الجديد الذي يكون الجمال من ابرز صفاتاته.
- ٥- جئنا بالدروس الثلاثة كنماذج تطبيقية، يحدو الطالب حذوها حتى يستقيم فكره ويشتد سعاده في الممارسة النقدية مشيرين الى العاطفة و الخيال من نجح البلاغة و الى عنصر التضمين عند الحريري. و للبحث صلة اعرضنا عنها خوف الإطالة.







## الدرس الأول

### وقفة مع العاطفة في نهج البلاغة

لابد أن نشير إلى بعض المفاهيم للعاطفة قبل الخوض في صلب الموضوع فنقول :  
**أولاً تعريف العاطفة :-**

العاطفة في اللغة مشتقة من العطف ، وها استعمالات مختلفة فهي متعددة مثل قولك عطف الوسادة : أى ثناها ، وعطف الشيء : أى أماله وحناء ، وعطف الثوب : أى ارتداء ، وتتعدي ب (إلى وعلى وعن) مثل قولك عطف إلى : أى مال ، وعطف عن : أى انصرف ، وعطف على : أى اشتق على . وتستعمل في الأبواب المزيدة مثل تعاطف في مشيه : أى حرك رأسه وتمايل ، وتعاطفوا : أى عطف بعضهم على بعض ، وانعطف : أى أثني . وتعطف عليه : أى اشتفق ، وايضاً رق له وبته . واما العاطفة فتسعمل بمعنى الشفقة أو الرحم ويقال امرأة عطوف : محبة لزوجها أو إبنها ، والذي ذكرناه كان باختصار عما ورد في اللسان لإبن منظور ج ٢ : ٨١٢ ، وجمع البحرين للطريحي ص ٣٨٥ ، والتابع للزيدي ج ٢ : ٢٠٠ ، والصالح الجواهري ج ٤ : ١٤٠٥ .

ولكن أرى أن الراغب الأصفهاني لخص الكلام وأصاب البيان لما قال : ((العاطف يقال في الشيء إذ أثني أحد طرفيه إلى الآخر كعطف الغصن والوسادة والجبل و . . . ويستعار للميل والشفقة اذا عدى ب (على) عطف عليه وثناء و . . . اذا عدى ب (عن) يكون على

الضد نحو عطفت عن فلان)). (١)

### ثانياً : ماهية العاطفة

المقصود بها مقاولة الفكر (العقل) ، فالإدراك البشري يتخذ مجرأه عن طريق هذين العنصرين ، ولابد للعاطفة ان تشغل حيزاً صغيراً حيال الإستجابة البشرية .

### ثالثاً : تفاوت العاطفة

فهي تختلف عن انسان إلى آخر ، وفي موضوع إلى آخر ، كما تختلف بصمات الأصابع بين الناس ، فالتشابه في العاطفة محال كما هو الحال في البصمات لليد وللصوت .

فهي تشتت أحياناً وتضعف أخرى لدى البشر ، فالأدباء يحملونها على أشد الawah والآخرون أقل ، وطا مرتب مختلفة بين الأدباء .

للأديب بواسطتها يطلع على خفايا وأسرار الحياة ما لم يطلع عليه الآخرون ، وهو يحسّها في صميمها مجردة عن الملابسات والحدود الزمنية ، يحسّها كما انبثقت أول مرة من نبعها الأصيل ، وكما تدفقت غير منقطعة في مجرأها الواسع الكبير .

### رابعاً : أهمية العاطفة

وللعاطفة دور كبير ، خاصة في الخطاب والشعر الغنائي ؟ فإنه يتطلب موقفها إلى العاطفة أكثر تحريكاً للجمهور واستشارة مشاعرهم واحاسيسهم ، وبناءً على هذا تختل العاطفة فيهما مساحة أكبر .

### خامساً : خلود الأدب :

بما وبعناصر أخرى تمنح الأدب صفة الخلود والبقاء حيث هي العامل الحرك لأحساس الأدباء والجماهير معاً حيث اطلق عليها النقاد القدامي والمعاصرون ، وستقف على آرائهم بعد قليل .

### سادساً : مصدر العاطفة

جعلها صاحب العمدة في أربعة أشياء قائلاً : ((قواعد الشعر اربع : الرغبة والرهبة والطرب والغضب)) (٢) ، وجعلها آخرون في إثارة الجمال . . . وهناك طائفة أخرى ارجعواها إلى المشاركة

١ - المفردات - الراغب الاصفهاني ، ص : ٣٣٨

٢ - العمدة - ابن رشيق ، ج ١ : ١٢٠ .

في الحياة .

والرأي الأول أقرب إلى الصواب .

### سابعاً : موطنها القلب

جعلها ابن أبي الحديد في القلب والنفس ذلك لما عبر عن مشاعره وتأثيره بالخطبة ١٠٩ قائلاً : ((لينظر إلى ما عليها من البهاء والجلالة والرواء والديباجة وما يحثه من الروعة والرهبة والمخافة والخشية )) . (١) فلا تحصل الرهبة والخوف والرغبة والخشية إلا في القلب . ويقول في الخطبة ٢٢١ : من أراد أن يعظ أو يخوّف ويقمع صفات القلب . . . فليأت بمثل هذه الموعظة ، وأخرى غيرها بالطبيعة حيث يقول في شرحه للخطبة ٢٢١ : ((واني لاطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدلّ على ان طبعه مناسب لطبع الاسود . . . ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه اذا اراد الموعضة بكلام يدلّ على ان طبعه مشاكل لطبع الرهبان )) . (٢) فموطن العاطفة عند ابن أبي الحديد القلب الذي يشعر به الروعة والرهبة فإذا رسخت في القلب أصبحت من طبيعة الإنسان وإلى هذا المعنى أشار البحتري في قصيدة التي يصف فيها الذئب قائلاً :

فاتبعتها أخرى ، فاظلت نصلها  
حيث يكون اللبُ والرعبُ والحدُّ  
وما يقصد من وراء اللبِ والرعبِ والحدُّ القلب ، واثبتت الدراسات الحديثة بأكملها كشفت  
موطن الخوف انه في القلب .

نعم لقد سبق القرآن العظيم الأدباء والدراسات الحديثة قاطبة في هذا المضمار ، و جاء في هذا المعنى قوله :

- ١ - (سَنُلْفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبُ) (آل عمران/١٥١).
- ٢ - (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اسْتَهَانُتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) (الزمر/٤٥).
- ٣ - (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال/٢).
- ٤ - (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) (الحديد/١٦).

١ - شرح نوح البلاغة - ابن أبي الحديد ، ج ٢ : ٢٣١ .

٢ - ايضاً ج ٣ : ٥١ .

وإلى آياتٍ وأياتٍ كثيرة ، أرجو من الله تعالى أن يوفقني يوماً لاستخراج المعانى المختلفة المستعملة في القرآن الكريم والمحاور التي تطرقـت إليها .

### ثامناً : من شروط العاطفة : -

إن أبي الحميد في شرطين :

الأول : تكون العاطفة قوية بحيث لو كان قلب المستمع صخراً لذابت قواه كما ذكر ذلك في الخطبة ١٠٩ قائلاً : ((حتى لو تليت على زنديق ملحد مضم على اعتقاد نفي البعث والنشور طدّمت قواه وأربعت قلبه وأضعفـت نفسه وزللت اعتقاده .

الثاني : التسليم : يجب أن تكون العاطفة مؤثرة في مستمعها بحيث يتم الاستسلام له في النهاية كما يقول ابن أبي الحميد في شرحه الكتاب ٣١ ، ((اسقرأني أبوالفرح محمد بن عباد ، وأنا يومئذ حدث هذه الوصيـة ، فقرأها عليه من حفظي فلما وصلـت إلى هذا الموضع صاح صيحة شديدة وسقط وكان جباراً قاسي القلب ))<sup>(١)</sup> ، وتراه يقول في شرح الخطبة ٢٢١ : ((وبينـي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس وتلي عليهم ان يسجدوا له كما سجدـوا الشـعـراء لقول عدي بن الرقـاع : ( قلم أصاب من الدواة مدادها ) ، فلـمـا قـيلـ لهمـ فيـ ذـلـكـ قالـواـ : اـنـاـ نـعـرـفـ مواـضـعـ السـجـودـ فيـ الشـعـرـ كـمـاـ تـعـرـفـونـ مواـضـعـ السـجـودـ فيـ الـقـرـآنـ ))<sup>(٢)</sup> . ويقول في الخطبة ٩١ : وأقسم أنـ هـذـاـ الـكـلامـ اذاـ تـأـمـلـهـ الـلـبـيبـ أـقـسـعـرـ جـلـدهـ وـرـجـفـ قـلـبـهـ وـاسـتـشـعـرـ عـظـمـةـ اللـهـ الـعـظـيمـ فيـ رـوـحـهـ وـجـلـدـهـ وـهـامـ نـحـوـهـ وـغـلـبـ الـوـجـدـ عـلـيـهـ وـكـادـ انـ يـخـرـجـ مـنـ مـسـكـهـ شـوـقـاـ وـانـ يـفـارـقـ هـيـكـلـهـ صـبـابـةـ وـوـجـداـ .

الخلاصة ، يجب أن تكون للعاطفة اثر السحر بحيث تؤدي في النهاية إلى الاستسلام والرضوخ مهما كان المخاطب قاسي القلب . وإن كان المخاطب موالياً فليس له إلا طريق السجود أمامها . فإذا كانت كذلك فهي توجب الفخر والأعتزاز ، والخلود والبقاء .

### تاسعاً : صدق العاطفة

يقول سيد قطب : (( وأن يكون للشاعر طابع خاص وإن يستطيع أن يصلـنا بالـكونـ الكبيرـ

١- أيضاً ج ٤ : ٣٤ .

٢- أيضاً ج ٣ : ٥١ .

اذا كان صادقاً . . . ولكن أى صدق ؟ لسنا نعني الواقعي ، فذلك مبحث يهم الأخلاق ، ائماً نعني صدق الشعور بالحياة وصدق التأثر بالمشاعر أى الصدق الفني )) . (١)

### آراء وعواطف

هذا وبعد الوقوف قليلاً عند بعض المصطلحات في هذا الباب نسوق الحديث حول بعض الذين تأثروا عاطفياً بنهج البلاغة قديماً من أرباب الفن والأدب الذين طار صيتهم في الآفاق وشغلت مآثرهم مدى الأزمان من أصحاب العقائد المختلفة ، ونقف على جانب من أهمية نهج البلاغة الذي هو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ، ثم نتخدن منطلقاً عملياً في حياتنا اليومية وبه سنكتسب المعالي ونفوز بالجنان فنشير :-

**أولاً: المعاصرون لأمير المؤمنين (ع) :** وإلى القدمي من أهل الأدب و الفن منهم:

١- ابن عباس ( حير الأمة ) : طرب ابن عباس لكلام أمير المؤمنين (ع) في خطبته الثالثة من نهج البلاغة ( الشقشيقية ) ، وقى ان يستمر الإمام علي (ع) في كلامه وذلك لما قال : يا أمير المؤمنين : لو اطربت خطبتك من حيث افضست ( وما كانت هذه المشاعر إلا عن طريق العاطفة ) ، فاجابه قائلاً : هيئات يابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قررت ، وفي ذلك الحين أبرز ابن عباس اسفه الشديد وعاطفة المتراجحة متمسكاً بالقسم العظيم قائلاً : (( فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام إلا أن يكون أمير المؤمنين (ع) بلغ منه حيث اراد )) . (٢)

ويقول صاحب الكاشف نقاً عن ابن عباس : أنه كان يسرّ ويفرح حين يقول : (( ما انتفعت بعد كلام رسول الله (ص) كانتفاعي بهذا الكلام )) (٣) ، يقصد به قول الإمام علي (ع) : بينما هو يستقيلها في حياته ، فاظهار الفرح والسرور ما هو إلا الطرف الذي هو أحد أركان العاطفة .

٢- ابن عفيف الأزدي:

١- النقد الأدبي - سيد قطب ، ص ٣٥: .

٢- نهج البلاغة - صبحي الصالح ص: ٥٠ .

٣- الكاشف - السيد جواد المصطفوي ص: ٤ .

يقول الجاحظ لما انتهي أمير المؤمنين (ع) من خطبة المهدية ٢٧ ، (( قام رجل من الأزد يقال له فلان بن عفيف<sup>(١)</sup> ثم أخذ بيده أخي له فقال : يا أمير المؤمنين : أنا وأخي كما قال الله : ربّي لا أملك إلا نفسي وأخي فمرنا بأمرك فوالله لننصرن دونك وان حال دونك جر الغضا وشوك القتاد ))<sup>(٢)</sup> ، واعلم ان الأستعداد من قبل الشعب للبراز والخوض في سوح القتال ليس بالأمر البسيط كما يقول رب العالمين (مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُواٰ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أَثَقْلَتُمْ إِلٰى الْأَرْضِ ) (الوعة/٢٨) ، لأن الإنسان يعلم أن الموت في ساحة القتال متتحمل جداً فعليه أن يهرب منه إلا أن يكون قد أثر فيه سحر البيان ، كما نرى أن هذا الشعور يتضاعف التهاباً عند ابن عفيف بكل شوق وحرارة .

٣- همام :<sup>(٣)</sup> هو من أحد أصحاب أمير المؤمنين (ع) وكان عابداً زاهداً .  
من المعلوم ان الحب يمثل أعلى قمم العاطفة فما من أديب أو شاعر إلا ومارس الحب في حياته ، وعشق هذه العاطفة دهراً من حياته ، حتى أفرط فيها بعض الشعراء فأصبحوا مجانين كما يقولون ، فعاقبة هذا الحب أن يجعل الإنسان مجنوناً ، وهل سمعت عن مات حبّاً أو عشقاً ؟ ربيما . . . ولكن انظر إلى هذه العاطفة ، عاطفة الحب في الله ، كيف تصنع بأهلها ؟ وانظر إلى أمير المؤمنين (ع) كيف أخذ يصعد لهيب نار هذه العاطفة عند همام ؟ حتى اشتاق همام لرب العالمين ووصل الأمر به إلى ما وصل إليه من تسليم نفسه الطاهرة لمالكها القدير .

#### ٤- الجمهور :

يقول السيد الرضي في الخطبة ٨٣ المسندة بالغراء : جاء في الخبر انه لما خطب الإمام (ع) بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلد ، وبكت العيون ورجفت القلوب .

هذا هو الهدف اللامسى في الأدب هو أن يثير الأديب الأحساس لدى الجماهير عن طريق الأسماع الواعية والأنظار الثاقبة والعقول المازمة ، بحيث من يسمع يخشع قلبه ، ومن يرى يعتبر ، كما يقول الإمام (ع) : فهل يتضرر أهل بضاعة (رقة جلد) الشباب إلا حوانى المرم ؟ وأهل

١- يقول ابن أبي الحديد في ج ١ : ١٤٥ ، هو جندب بن عفيف الأزدي .

٢- البيان والتبين - الجاحظ ص ٢٣٩ .

٣- هو همام بن شريح بن يزيد بن مرة . . . بن سعد العeshire ، وكان من شيعة أمير المؤمنين (ع) وأليائه ، وكان عابداً / ابن أبي الحديد ج ٢ : ٥٢٨ .

غضارة الصحة إلا نوازل السقم ؟ وأهل مدة البقاء إلا آونة الفنان ؟ ثم يخاطب العقول قائلاً : ام هذا الذي انشاه في ظلمات الأرحام ، وشغف الأستار ( استعارة للمشيمية ) نطفة دهافاً وعلقة محاهاً وراضاهاً ولیداً ويفاعاً . . . هكذا ترى روح الحب والشوق حاكمة على أرجاء هذا الخطبة وما يشبهها وليس للمخاطب طريقاً سوى الإستسلام امامها كما يقول الرضي ، هكذا تصنع العواطف الدينية الصادقة بأهلها ومخاطبيها .

وأما الطائفة الثانية فهم الشراح والخطباء ذكر منهم على سبيل المثال:-

### ١- السيد شريف الرضي :

الف : قول السيد في مقدمته لنهج البلاغة : ((فاجمعت ب توفيق الله تعالى على الإبتداء باختيار محسن الخطيب ثم محسن الكتب ثم محسن الحكم والأدب . . . ))، فالذى يقدم على اختيار المحسن من الكلام لابد ان يكون من أرباب الصنعة اولاً ثم لا تطاوعه نفسه إلى هذا العمل الجبار إلا بعد ان تأثرت نفسه بالكلام ، بل قل لا يتم هذا الإختيار إلا بعد الإحساس والشعور بالعاطفة النابضة بالحياة لكلام المولى (ع) .

باء : ويقول السيد في خطبة : ((أن هذا الكلام ( تحفوا تلحقوا ) لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله(ص) بكل كلام مال به راجحاً وبز عليه سابقاً )) .

فائق لترى في كلام الرضي سرّ اختيارة لكلام أمير المؤمنين(ع) بعد ما أبرز العاطفة بصورة حكم على كلامه(ع) وهذا يدلّ على عمق تأثيره بهذه العاطفة ، وإنما كان يمزّ من جانبه مرت الكرام ، ولقد أبرز السيد هذه العواطف في مواطن مختلفة من النهج فمنها الخطبة ٢٨ حيث يقول : لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا ، ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام ، وكفى به قاطعاً لعلاقة الآمال وقدحـا زناد الإنعاظ والإذجاج ، وكذلك ترى تصاعد هذه العاطفة عند الرضي(ره) لما يواجه الكلمات القصار ذات الفصاحة والبلاغة ، ويصدر أحكامه بحكمة بالغة حيث يقول في الحكمة ٨١ قال الامام علي(ع) : قيمة كل امرئ ما

١- نهج البلاغة - صبحي الصالح ، ص : ٣٥ .

٢- ايضاً : ص : ٦٣ .

يحسنه ، قال الرضي : وهي الكلمة التي لاتصاب لها قيمة ولا توزن بها حكمة ، ولا تقرن اليها كلمة ، وكذلك تجد رأياً مشابهاً لهذا الرأي من قبل الجاحظ ، ثم انظر إلى رأيه في الحكمة ٨٨ حيث يقول : وهذا من مخاسن الإستخراج ولطائف الإستبساط . ثم يبلغ به الأمر إلى حد الإستغراب في عاطفته لما يصل إلى الحكمة ٩٣ فيقول : وهذا من غريب ما سمع منه في التفسير ، وأخيراً لستمع له في الحكمة ١٥٠ حيث يقول : ولو لم يكن في هذا الكتاب إلاّ هذا الكلام ( لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل . . . ) لكتفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لم يصر وعراً لنظر مفكر .

٢ - عبدالحميد بن يحيى (١) وإن نباته : ( يعتقدان ان نجح البلاغة معين الأدباء والبلغاء ) ينقل ابن أبي الحميد : قال عبدالحميد بن يحيى حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت (٢) .

فخطبه (ع) من وجهه نظر هذا الكاتب ( القليل الأدب ) مصدر العاطفة بل قل إنما الينبوع الفوار للعواطف وإلى هذا المعنى يشير ايضاً ابن نباتة بقوله : حفظت من الخطابة كثناً لا يزيده الإنفاق إلاّ سعة وكثيراً ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب .

٣ - ابن أبي الحميد :

كافاه فخراً أنه صاحب أكبر شرح بقى خالداً في ساحة الأدب طول الدهر . بحيث يعدّ شرحه اليوم لنهج البلاغة من امهات المصادر ، والذي يطالع هذا السفر العظيم سيقف على ثقافة ابن أبي الحميد الأدبية ، وذوقه الغني و . . . ، وانما اخترنا فقرات ثلاثة من تعليقاته في النهج ترشدنا إلى تأثره الكبير بعنصر العاطفة المتجلىة في أدب نجح البلاغة العظيم .

الف : يقول ابن أبي الحميد في مقدمته : ((ورصعه ( ابن أبي الحميد ) من المواعظ الزهدية والزواجر الدينية والحكم النفسية والأدب الخلقي لفقره ( نجح البلاغة ) ، والمشاكل ، لدرره ،

١ - هو ابو غالب عبدالحميد ابن يحيى بن سعد ، وكان جاته سعد مولى العلاء بن وهب العامري . . . وكان يعرف بعد الحميد الأكبر تميزاً له من عبدالحميد الأصغر . . . ، فلما انتقلت الخلافة إلى مروان بن محمد في أوائل ١٢٧ هـ ، انتقال معه عبدالحميد من أرمنية إلى دمشق وأصبح الكاتب الأول في الخلافة الأموية . . . قال ابوالملاك العسكري ( م ، ٣٩٥ هـ ) : كان عبدالحميد الكاتب ، يستخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فتحولها إلى اللسان العربي ، ( عمر فروخ ، ج ١ ، ٧٢٣ ) .

٢ - وقيل أن هذا القول لأن المقصود .

والمت雍مة مع معانيه في سلط (الخيط مadam الدّر متظطماً فيه) ، المتسبة مع جواهره في لطّ (قلادة) ، بما يهزأ بشنوف (القرط) النضار ، ويخرج قطع الروض غبّ القطار).<sup>(١)</sup> تعبيره : المشاكلة . . . المت雍مة . . . المتسبة . . . تدلُّ على عمق تأثيره عاطفياً بأدب نجح البلاغة .

باء . يقول ابن أبي الحديد في الخطبة ٩١ المسمّاة بالأشباح : وأقسم أنّ هذا الكلام اذا تأمله الليبي اقشعر جلده ، ورجف قلبه ، واستشعر عظمة الله في روعه وجلده ، وهام نحوه ، وغلب الوجد عليه ، وكاد أن يخرج من مسكه شوقاً وأن يفارق هيكله صيابة ووجداً .

ترى في هذا الكلام تعالٰى الحبة حيث اتحذت من الشوق مظلة ومن الوجد لوناً ثابتاً ، فحيى الله هذا الجمال العاطفي الذي لا يتعاملكه الأدباء ولا يفارقه المستمعون ، فعليها الإقبال على هذا الفن الأدبي الخصب ، المملوء بالعواطف والحب ، فما أحوجنا اليه في أيامنا هذه وحتى الأيام المقبلة .

#### جيم . رأى وقسم وعاطفة :

أنظر إلى هذا الإعجاز الأدبي ل الكبير الفنانين ، صاحب النّظرـة الثاقبة في الفن الأدبي ، ذي التجارب الأدبية الناصعة ، كيف مزج الفكر (العقل) بالعاطفة في بيانه التالي ؟

يقول ابن أبي الحديد في شرحه الخطبة ٢٢١ : عندما وصل إلى تفسير هذه العبارة (( سلكوا في بطون البر ZX . . . إلى آخر الخطبة )) ، من أراد أن يعظ ويختوّف ويقرع صفات القلوب ، ويعرف قدر الدنيا وتصرّفها باهلها فليأت بمثل هذا الموعظة في مثل هذا الكلام الفصيح ، وإنّ فليمسك ، فإنّ السكوت أستر ، والعى خير من منطق يفضح صاحبه .

ومن تأثّل هذا الفصل علم صدق معاوية في قوله فيه (ولله ما سنت الفصاحة لغيره ) ، وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس ، وتلي عليهم أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدي بن الرّقاع<sup>(٢)</sup> (قلم أصاب من الدّواة مدادها) فلما قيل لهم في ذلك قالوا : إنّا نعرف

١- شرح نجح البلاغة - ابن أبي الحديد ج ٢ : ١

٢- عدي بن زين بن مالك بن عدي بن الرّقاع بن عاص بن عاص بن معاوية بن الحارث ، كان شاعراً مقدماً عند بني أمية متاحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك . . . وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق . وهو من

مواقع السجود في الشعر كما تعرفون مواقع السجود في القرآن)). (١) دال : يقول ابن أبي الحديد متعجبًا :

(( واتي لاطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على ان طبعه مناسب لطبع الأسود والنمور وأمثالها من السباع الضاربة ، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه اذا أراد الموعظة بكلام يدل على ان طبعه مشاكل لطبع الرهبان لابسى المسوح الذين لم يأكلوا لحماً ولم يريقوا دماءً ، فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني<sup>(٢)</sup> وعتبية ابن الحرت البريوعي وعامر بن الطفيلي العامي<sup>(٣)</sup> ، وتارة يكون في صورة سقراط الحبر اليوناني ويوحنا المغمدان الإسرائيلي والمسيح ابن مريم الإلهي .

واقسم من تقسم الأمم كلها به ، لقد قرأت هذا الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة ، ما قرأتها إلا واحداثت عندي روعة وخوفاً وعظمة ، واثرت في قلبي وجسدي ( خوفاً ) وفي اعضائي رعدة ، ولا تأملتها إلا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي وأرباب وذوي ، وخيلت في نفسي اي ذلك الشخص الذي وصف (ع) حاله .

وكم قد قال الوعاظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى ، وكم وقفت على ما قالوه وتكرر وقوفي عليه فلم أجده شيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي فاما ان يكون ذلك لعقيدتي في قائله ، او كانت نية القائل صالحة وopicته كان ثابتاً واحلاصه كان محضاً خالصاً ، فكان تأثيره قوله في النفوس أعظم وسريان موعظته في القلوب ابلغ )) (٤) . والكلام واضح لا يحتاج إلى

حاضرة الشعراء لا من بادتهم (الأغاني ، ج ٩ ، ٢١٠) ، قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء في حق عدي بن الرقاع ، ص ٢٩٢ وهو أحسن من وصف طيبة وصفاً فقال :

من أرضها فقرأوها وعهادها	كاظمية البكر الفريدة ترتعي
من عركها علجانها وعرادها	حضرت لها عقد البراق جبينها
قل اصاب من الدواة مدادها	ترجي اغرن كان ابره رقة
	وذكر النويري القصيدة كاملة في ج ٤ : ٢٥٤ - ٢٥٧ من كتاب نهاية الأربع .

١- شرح معجم البلاغة - ابن أبي الحديد ج ٣ : ٥١ .

٢- بسطام بن قيس الشيباني البكري ، كان من فرسان العرب ( دائرة المعارف الأهلية ج ٧ : ١٢٦ ) .

٣- هو عامر بن الطفيلي بن مالك بن جعفر من بني عامر بن صعصعة من قيس عيلان ، . . . ولد بعد يوم شعب جبلة ، في نحو سنة ٦٧٦ هـ ( ٥٥٥ ) في نجد ونشأ فارساً . . . وهو شاعر فحل مجید برع في الحماسة والفاخر . . . ( عمر فروخ ، ج ١١ : ٢١٩ ) .

٤- شرح معجم البلاغة - ابن أبي الحديد ، ج ٢ : ٢٣١ .

## تحليل العاطفة :

نشير قليلاً إلى تحليل عنصر العاطفة في الخطبة الجهادية رقم ٢٧ فنقول :  
 أولاً : خطاب الوجдан ، حيث خاطب نفسه الكريمة(ع) والمستمعين ، قائلاً : (إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتالِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرِّاً وَأَعْلَانًا . . . ) فائق ترى من خلال الكلام نفسه(ع) مطمئنة ارتياحاً ، لأنَّه قام بالواجب الملقى على عاتقه بقوله : دعوتكم ليلاً ونهاراً . . . ولكن المستمعين اتخذوا التواكل والخذلان طريقاً لهم كي لا يفلحوا أبداً .

ثانياً : تحريك المشاعر والعواطف عن طريق حبِّ الوطن حيث قال : (وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ ) فاحتلال الوطن من قبل العدو يثير الغضب لدى الجمهور حتى يصلهم إلى حد الإنقام من المعذبين . ثم عن طريق العرض ، لقد أشار إليه عبد الله نعمة من قبل وهنا نفصل قليلاً ونقول : إنظر إلى تدرجه في إثارة العاطفة لدى الجماهير مبتدأً بالسورة ثم المعاهدة ، ثم التدرج من الحigel في الأقدام إلى السوار في الإيدي وإلى القلادة في الجيد وأخيراً القرط في الآذان ، فهذا التصاعد يصعب معه الإلقاء والحماسة والغيرة والحمية في النفوس وتشحّنها حقداً وحنقاً على العدو . ثم عن طريق إثارات الشعور الديني قائلاً : فَيَا عَجَبًا ! عَجَبًا . وَاللَّهُ يُمْيِتُ الْقُلُوبَ وَيُنَيِّبُ الْأَهْمَمَ مِنَ الْجَمِيعِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرِّجُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ! فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا ، حِينَ صِرْتُمْ عَرَضاً يُرْسِى : يُغَارِّ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتَعْزُرُونَ وَلَا تَعْزَرُونَ ، وَيُعَصِّي اللَّهُ وَتَرَضَّوْنَ ، ثم عن طريق الخوف المستولي على نفوسهم حيث يقول : فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيِّفِ أَفْرُ ، وليس المسألة ، مسألة الصيف والشتاء والحرّ والبرد إنما هو الخوفُ من العدو . ثم عن طريق صدق العاطفة ، حيث يقسم بالله العظيم قائلاً : فَوَاللَّهِ مَا غَرِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عَفْرٍ ذَاهِمٌ (وسطها) إِلَّا ذَلُوا ، ثم تراه ينفعل مراراً خلال الخطبة ويدعوا عليهم بالويل والثبور قائلاً لهم : قبحاً لكم وترحاً (هـماً وحزناً) ، وأخرى : قاتلوكُم اللَّهُ ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَبْيَ قَبِحًا (ما في الجرح من صديد) ، وَسَخْنَتُمْ (ملأتم) صَدْرِي عَيْظًا ، وَجَرَعْتُمُونِي (جوع) نُعَبَ التَّهَمَّامَ (الهم) أَنْفَاسًا (جرعة بعد جرعة) وأفسدتم عليَّ رأسي بالعصيان والخذلان .

وأخيراً تبدو أمارات اليأس في كلامه حيث يقول : لَوْدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً

( والله ) جرّت نَدَمًا وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا ( هَمًا وَغِيظًا ) .

وينتمي الخطاب في النهاية بالمثل المعروف : وَلَكِنْ لَا رُأَيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ ، آسِيًّا من الجمهور عارضاً عنهم صفحًا .

النتيجة : إنني اقطع جازماً أن نجاح البلاغة مملوء بعناصر الأدب الفنية بخاصة العنصر العاطفي ولابد للمشتغلين في حقول الأدب الإقبال على أدب نجاح البلاغة والتعرف على الأنواع الأدبية والقيم الشعرية والتعبيرية و . . . و . . . أكثر فأكثر .

\*\*\*

## الدرس الثاني

### وقفة مع الخيال في نهج البلاغة

لقد أخرتنا ٦ خطب من مجموعة ٢٤١ خطبة موجودة في نهج البلاغة ، فجئنا بخطب من أول نهج البلاغة و أخرى من الوسط و قسم من الأخير ، حتى نقف قليلاً على عنصر الخيال عند أمير المؤمنين (ع) .

اولاً : آل البيت (ع) ، جاء في الخطبة الرابعة من نهج البلاغة :-

بما اهتديتم في الظلماء وتستمّتم ذرورة العلياء ، وبنا أُنجزتم عن السرار . وقر سمع لم يتفقهوا العافية . وكيف يراعي النباء من أصمته الصيحة ؟ ربط جنآن لم يفارقه الخفاف . مازلت أتضرر بكم عوّاقب الغدر وأتوسّكم بحلية المفترّين حتى ستري عنكم جلباب الدين وبصريّكم صدق النية . أقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة ، حيث تلتقطون ولا دليل وتحتقرن ولا تميهون . اليوم أنطق لكم العجماء . . .

لقد أبدع الإمام (ع) الجمال في تصاویره الحسية التالية :

الف ) صورة التعالي : قوله(ع) : تسنمتم العلياء ، ان ارتقاء ظهر الناقة يأله الجميع ، فلما أراد أن يصفهم بأكمل صاروا أصحاب المفاخر والمعالي بأهل البيت(ع) ، أستعان بـ (سنام الناقة) فشبّه ارتقائهم في المعالي بـ (تسنمهم للناقة) ، فجاءت الصورة بيّنة المعالم ، محسوسة الظواهر . فالألفاظ صورت المعاني (الرفة والسمو) بدقة . مشهد من مشاهد الحيوية والحركة .

ب ) صورة الحق : قوله(ع) : أقمت لكم سنن الحق في جواد المضلة ، حيث شبه حالتهم في

الضلال حالة الذي يسير في طريق خالٍ من المعالم ، فلا يصل إلى مقصود ، وكذلك شبه حالة المؤمن الذي يسلك طريق الحق بطريق فيه معلم وإرشادات ومعه الدليل ( الإمام علي(ع) ) ، فإنه سيهتدى إلى الهدف المطلوب ، صورة فيها نشاط وحياة للوصول إلى الحقيقة .

ج ) صورة الضلال : قوله(ع) : تلتقون . . . إلى ولا تُمْيِهُون : حيث شبه اجتماعهم على الباطل بلا عائد ، بلقائهم بعضهم الآخر باختين عن الماء فلم يجدوه . صورة بمحض العمل بلا روح والحركة بلا هدف .

د ) صورة الجهل : بنا إهتديتم في الظلماء ، إراد بالظلماء الجهل والكفر ، فجاءت الصورة تحت ظل الإستعارة التصريحية ، حيث أدعى فيها أنّ الجهل هو عين الظلام وحذف المشبه وأقام المشبه به وحده ، فما أجملها من صورة وعبارة .

ه ) صورة الوعظ قوله(ع) : اليوم أُنطِقُ لِكُمُ الْعِجَمَاءِ : فيه كناية ، وذلك ان العجماء تطلق على البهائم ، ولكنه كنى بما عن الموعظ فجاءت الكناية هنا أبلغ من التصريح . فالنطق من إحدى سمات الكائن الحي أطلاقها الإمام(ع) على الموعظ بشكل تتكلّم مع الناس وترشدّهم إلى الصواب وتبعدهم عن الضلال .

ثانياً : صفات المتنقين ، جاء في الخطبة ١٩٣ من نجح البلاغة .

قال عليٌّ أمير المؤمنين(ع) بعد حمد الله والثناء عليه والصلوة على رسوله(ص) : أما بعد ، فإنَّ الله - سبحانه وتعالى - خلق الخلق حين خلقهم غيّاً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ؛ لأنَّه لا تضره معصية من عصاه ، ولا تنفعه طاعة من أطاعه ، فقسم بينهم معايشهم ، ووضعهم من الدنيا مواضعهم .

المتنقون فيها هم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيئهم التواضع ، غضوا أبصارهم عمّا حرم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالي نزلت في الرخاء ، ولو لا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الشواب ، وخوفاً من العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم ، فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رأها ، فهم فيها منعمون ، وهو والنار كمن قد رأها ، فهم فيها معدّبون ، قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم

عفيفة ، صبروا أثياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة ، تجارة مربحة ، يسرّها لهم رقم ، أرادهم الدنيا فلم يريدوها وأسرّهم فقدوا أنفسهم منها .

اما الليل فصاقون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن يرتوخا ترتياً ، يحيّتون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم ، فإذا مروا بآية فيها تشوّيق ركّتوا إليها طمعاً ، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنوا أنّها نصب أعينهم ، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذاخم ، فهم حانون على أوساطهم ، مفترشون لجباهم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم .

واما النهار فحملماء علماء ، أبراً أتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، ويقول : لقد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم ، لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستثنون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، إذا رأّي أحدّ منهم خاف مما يقال له ، فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري ، وربّي أعلم بي متي بنفسي ! اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني أفضل مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون .

فمن عالمة أحدهم أتّك ترى له قوّة في دين ، وحرماً في لين ، وأيماناً في يقين ، وحرضاً في علم ، وعلمأً في حلم ، وقصدأً في غنى ، وخشوعأً في عبادة ، وتحملأً في فاقة ، وصبراً في شدة ، وطلبأً في حلال ، ونشاطأً في هدّى ، وتحرجأً عن طمع ، يعمل الأعمال الصالحة وهو على الغفلة ، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة ، إن استصعبت عليه نفسه في ما تكره لم يعطها سؤلاً في ما تُحب ، قرءً عينه في ما لا يزول ، ورهادته في ما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريباً أمله ، قليلاً زلة ، خاشعاً قلبه ، قانعةً نفسه ، منزوأً أكله ، سهلاً أمره ، حزيراً دينه ، ميتةً شهوده ، مكمظوماً غبظه ، الخير منه مأمول ، والشرّ منه مأمون ، ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين ، وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين ، يعفو عن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصلح من قطعه ، بعيداً فحشّه ، ليتاً قوله ، غائباً منكره ، حاضراً معروفة ، مقبلاً خيره ، مدبراً شرّه ، في الزلازل وقوز ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ، لا يجيف على من

يُبغضُ ، ولا يأثمُ فِيمَنْ يُحِبُّ ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، لا يُضيغُ ما استحفظ ، ولا ينسى ما ذَكَر ، ولا يخرج من الحق ، إن صمت لم يغمه صمتُه ، وإن ضحك لم يعل صوته ، وإن بُغى عليه صير حتى يكون الله هو الذي ينتقم له ، نفسه منه في عناء ، والناسُ منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه ، بعدهُ عَمَّنْ تباعد عنه زهدٌ ونراة ، دنوه مَنْ دنا منه لِيُّورَمَة ، ليس تباعُدُهُ بـكُبر وعَظَمَة ، ولا دُنُوَّهُ بـمَكْر وخدِيَعَة .

### اندماج العاطفة في الصورة :

انظر إلى قوله(ع) : تَرَلتْ أَنْفَسَهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي تَرَلتْ فِي الرَّخَاءِ حِيثُ تَرَى اندمجت الصورة في العاطفة اندماج الحرارة بالنار والضوء بالشمس ، عادة الإنسان يستسلم للأمر الواقع عند المصائب حينئذٍ يستولي اليأس والخمول وضيق النظر عليه ، ولكن الصورة التي أبدعها الإمام(ع) على العكس تماماً ، فالإنسان عادة في حالة الرخاء يكون متاماً ساعياً نشيطاً وله سعة نظر إلى الأفاق ، فالصورة المتفرودة من وراء هذا التشبيه تكمن في المفردات التالية ، حيث إنك تصور للرجاء أبعاد مختلفة ، فالراجي صاحب أمل ولأجلها يسعى وينشط للوصول إلى الهدف ثم سيكتسب من وراء تلك التجارب سعة نظر في الأمور على خلاف في حالة البلاء ، فالمبتلي يرى نفسه في يأس وخمول ثم يتبعاد عن التجارب وسيؤدي به الأمر إلى ضيق النظر في الأمور ، وأخيراً يؤدي به الأمر إلى الإستسلام واليأس لما حلّ به من البلاء ، فانظر إلى الجمال هذا كيف يصنع من المبتلي راجياً آملاً في حياته .

وهكذا ترى أَنَّه(ع) كيف جمع بين الصورة والعاطفة (الخوف والرجاء ) في قوله : فهم والجنة كمن قد رآها ، فهم فيها منعمون ، وهو النار كمن قد رآها ، فهم فيها معذبون ، فلنقف قليلاً عند هذه اللحظة سنجد أنها تبدأ عن حقيقة ودقة نظر واطمئنان قلب كما عبر سبحانه وتعالى عن إبراهيم(ع) قائلاً : (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحِبِّي الْمُؤْتَمِ قَالَ أَوْمَ ثُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنَ قَلْبِي ) (البقرة/٢٦٠) فرؤيه الجنة في حالة النعمة ، ورؤيه النار في حالة العذاب ما هو إلا يقيناً حصل لأصحاب التقوى ، فأصبحت صورة الجنة والنار من جهة والإحساس بالنعمة والعذاب من جهة أخرى مندرجة في الشوق والرهبة مما أبدعها من صورة وعاطفة . ثم هناك ملاحظة أخرى في كلامه(ع) حيث استخدام أداة التشبيه الكاف لتدلّ أن عملية الرؤية كانت حسّية وإلا

فأنّ الموقف كان يتطلب حذفها .

ثم هكذا تستمر العواطف هياجة منيرة الدرب أمام محبي الله سبحانه ، ثم قف قليلاً واستمع لقوله(ع) حيث يقول : صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة يشرها لهم . . . فالشوق إلى الشواب والراحه في الجنان وإكتساب الأرباح تنشأ عادة من الرغبة النفسانية المحركة للعواطف الإنسانية حيث تسوق الإنسان لإكتساب مرضاه الرب ، فجاءت الصورة متزنة بين تحمل المشاق والمصائب والإعسار لأيام قلائل مع الراحة الطويلة في الجنان واليسير الذي أعده الله لهم في القيمة .

وأرجو منك أيتها القاريء الكريم أن تأسن نفسك معى لحظات عند هذه العبارة التي يقول أمير المؤمنين(ع) فيها : وأسرحتم الدنيا فقدوا أنفسهم منها ، فالأسر عادة يكون في ساحة القتال ، والفذية تدفع بعد أن تضع الحرب أوزارها هذا من جهة ، والقلب أحياناً يأسره الهوى كما يقول الشاعر :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

فحاله المتقي تشبه ساحة القتال ومن جهة أخرى تشبه أسير الهوى ، ففي الحالتين تجده لفکاك الأسر ، وللحظة ان الأسر الثاني أعظم شأناً من الأول ، فاي فدية يدفعها المتقوون لفکاك رقابهم ؟ أئمّا فدية عظيمة ألا وهي الإعراض عن الدنيا وتطليقها ثلاثة ، والصبر أمام الشهوات ومقاومة النفس الأمارة بالسوء ، صورة جميلة فيها حيوية ونشاط ومقاومة فلن تجد مفردات هذا الكلام بديلاً إلا في كلام أمير المؤمنين(ع) .

وهكذا أنظر إلى صور العبودية التي جسّدتها الإمام(ع) في وصف المتقوين ليلاً من اصطافاتهم للأقدام وتلاؤهم للقرآن الكريم والإستثناء به والتشوق إلى آيات الرحمة والتلخوف من آيات العذاب ، فإنك ترى لقد امتنجت الصور المختلفة من القيام والإصطداف والتلاوة والإستثناء بالعاطفة من شوق وخوف .

ثم انظر إلى مركز التفكير ألا وهو القلب ، كيف صاغ له مسمع وأذن؟ بحيث يدرك بها زفير وشهيق الجحيم ، مما يجعل عاطفة الخوف تتضاعف لدى المستمع إلى حد اليقين ، لأنّ كلمة (الظنّ) هنا تفيد اليقين ، أى فهم على يقين مما أخير الغيب بذلك .

ثم يصفهم (ع) في حالة الصلاة وخاصة الركوع والسجود ، بالأحناء والإمعاطف أمام جبار السموات والأرض ، ولا يتم هذا الإحناء إلا من كان ضامر الخصر ، أما حالمهم وقت السجود ما هي إلا بسط الوجه والأيدي والركبان على الأرض كبسط الفراش عليها تعظيمًا لخالقهم وتحفيراً لأنفسهم ، ويشتند هذا التأثر على النفس لما قرناها بعاطفة الرجاء مطالبين رب الغفور بفك رقابهم من النار ، موقف رائع لا يمكن أن يصوّره إلا الفنان الأديب المثالي ، (( فالعاطفة تتعاون مع الخيال وتتساوق في لوحات رائعة حية ، شديدة الروعة والحيوية ترتكز على واقعية صافية تمند لها فروع وأغصان ذات أوراق وأثمار ))<sup>(١)</sup> .

وأتا في النهار فهم أصحاب حلم ، والحلم بمثابة عشرية للمتقى يستند عليه في جهاده مع الأعداء كما يتکأ عليها الإنسان وقت الحاجة . ولقد أقرن (ع) الحلم بالعلم والإحسان والكرم ، أى لا ينفع الحلم إلا بالعلم والإحسان والكرم ، أى لا ينفع الحلم بجوار الجهل والبخل ، هكذا تسير الصور البلاغية في الكلام حتى نصل إلى سيماء أصحاب التقوى .

قلنا من قبل أنه (ع) منزج العاطفة في الصورة امتزاجاً جيلاً دقيقاً ، فانظر إلى عبارته التي يقول فيها : وبتملاً في فاقة ، فالمتقى مهما أجرته الظروف الاقتصادية على الفقر فإنه يتحامها بجمال الزينة كما عبر الله سبحانه عنها بقوله : (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) (الأعراف/٣١) ، فالجمال مما تشاق إليه النفوس ولقد امترجت هنا بصورة الفقر فاصبحت جمالاً في جمال . هكذا تجد الصور الإبتكارية تسير جنب إلى جنب العاطفة في جميع أرجاء الخطبة ، عرضنا عنها صفحًا خوف الإطالة .

وأضافة إلى هذه الصور البينية والتعابير العاطفية ، تجد إن الأمام (ع) خلال كلامه يميل إلى تحسيس بعض الصور عن طريق استخدام الكناية التي (( هي مظهر من مظاهر البلاغة ، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته ، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها . . . وظهور هذه الخاصة جلية في الكنایات عن الصفة ))<sup>(٢)</sup> ، فانظر إلى قوله (ع) حيث يقول : غائباً منكره ، حاضراً معروفة ، فالمتقى عامل بالمعروف وناءٍ عن

١- روائع نجح البلاغة - جورج جرداق ، ص ١٢ .

٢- البلاغة الواضحة - على الجازم ومصطفى أمين . ص ١٣١ .

المنكر ، وفي الكلام إثبات لمن الدين الصفتين ( والصفات التالية ) لأصحاب النقوي . وهكذا المثال الآخر في قوله(ع) : قرة عينه فيما لا يزول ، وقرة العين كناية عن الفرح والسرور لأن العين لا تتحرّك عند السرور وتضطرب عند الخوف ، وقوله(ع) فيما لا يزول أيضاً كناية عن الموصوف وهي الجنة التي وعدها الله للمرتقين ، وكذلك تجد الكناية في قوله(ع) : ميّة شهوته ، فهي كناية عن عدم اتّباع الشهوات والسيطرة على النفس الأمارة ، وبعبارة أخرى هي تملّكهم للنزاهة والقداسة . ومن أسباب بلاغة الكناية أهـماً تضع لك المعاني في صور المحسوسات ، فانظر إلى قوله(ع) : صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة ، ففي الكلام كنایات الصير القصير يدركه الحسن ، وهي كناية عن الدنيا الزائلة ، وكذلك الراحة الطويلة ، يدركها الحسن أيضاً وهي كناية عن الآخرة ، وانظر إلى قوله(ع) يقول : يستشرون دواء دائهم ، فدواء دائهم كناية عن البكاء الذي يدركه كل إنسان . والكلام كثير نعرض عنه صفحـاً .

### ثالثاً : آيات العرفان

جاء في الخطبة ٢١٥ من نجح البلاغة، انه قال(ع) : (( الحمد لله الذي لم يُصبح بي ميّة ولا سقىماً ، ولا مضروباً على عروقي بسوء ولا مأخوذاً بأسوأ عملي ، ولا مقطوعاً دابري ، ولا مرتدأ عن ديني ، ولا منكراً لريّ ، ولا مستوحشاً من إيماني ، ولا ملتبساً عقلي ، ولا معذباً بعذاب الأمم من قبلـي . أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً لنفسي ، لك الحجة علىّ ولا حجة لي ، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ، ولا أتفق إلا ما وقتيـ .

اللـهم إـيـ أـعـوذـ بـكـ أـنـ أـفـقـرـ فـيـ غـنـاكـ ، أـوـ أـضـلـلـ فـيـ هـدـاكـ ، أـوـ أـضـامـ فـيـ سـلـطـانـكـ ، أـوـ أـضـطـهـدـ وـالـأـمـرـ لـكـ .

اللـهم اـجـعـلـ نـفـسـيـ أـوـلـ كـرـيمـ تـنـتـزـعـهـاـ مـنـ كـرـائـمـيـ ، أـوـلـ وـدـيـعـةـ تـرـجـعـهـاـ مـنـ وـدـائـعـ نـعـمـكـ عـنـديـ !

اللـهم إـيـ أـعـوذـ بـكـ أـنـ نـذـهـبـ عـنـ قـوـلـكـ ، أـوـ أـنـ نـفـتـنـ عـنـ دـيـنـكـ ، أـوـ تـتـابـعـ بـنـاـ أـهـوـأـنـاـ دـونـ المـهـدـيـ الـذـيـ جـاءـ مـنـ عـنـدـكـ )) . (١)

## عنصر الخيال والدعاء

ان طبيعة الدعااء ترتكز على سرد الحقائق فمع ذلك ترى عنصر الصورة بجلت على شكل الكتابة في هذا الجو الملبي بالعواطف التي ستزيد البيان جمالاً ، وحسن التأثير في الأسماع ، وتشعل نار الحب لله في قلوب المؤمنين ، فمن ذلك قوله(ع) : ولا مقطوعاً دابري ، حيث كثيّ بها بقطعه عن الدواعي التي من شأنها قطع القوة وإبادة النسل ، فهي كناية عن موصوف ويمكن أن يفسر بمحو الأثر والإسم (العنوان) فلا تبقى له باقية .

وقوله(ع) ولا مضمروباً على عروقي بسوء : كناية عن المرض الذي يصاب به الجسم ، فإنه(ع) عدل عن لفظة المرض إلى الضرب على العرق ، واختلف المفسرون في معناه على قولين ، الأول : يحتمل البرص ، والعرب تكفي عن البرص بالسوء ، والثاني : (( يحتمل أنه يريد ولا مطعموناً في نسي )) . (١)

وكذلك قوله(ع) : أول كربلة تتبعها ، فإنتراع الشيء كناية عن الموت وهي كناية عن موصوف ، أو كلامه(ع) ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ، كنى بهذا الكلام عن رزقه المقسم له ، أو النعم الإلهية التي تتواتي على الإنسان من فضله ، وكذلك ترى عنصر الرمز في قوله(ع) : أو تتبع بنا أوهواؤنا ، فالتابع ركوب الأمر على خلاف الناس ، أراد به هنا الإسراع إلى الشر واللجاجة ، فهو كناية عن صفة .

### رابعاً : الصياد

جاء في الخطبة ٨٣ من نجح البلاغة ومن خطبة له عجيبة يقول فيها :  
 فإن الدنيا رُنْقَ (كدر) مشرحاً رُدْغَ (كثير الطين) مشرعها ، يُوبِقَ منظرها ويُوبِقَ (يعجب) مخبرها ، غرور حائل وظل زائل ، وضوء آفل ، وسنانٌ مائل حتى إذا أنس نافرها واطمأنَّ ناكِرها ، قمصط (اصطادات) بأرجلها ، وفقصت بأحجلها ، وأقصدت بأسمها ، وأعلقت المرأةُ أوهاق (حِبال) المنية قائدة له إلى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة الحال وثواب العمل .

### الخيال وعنصر المبالغة والمخادعة

صفة دار الحرب ، يقول البستاني : (( فلو وقفنا على هذه الصورة : ( قمصط بأرجلها

١- إلى هذا الكلام أشار المعاصرون من القادة أنه يمتلك عنصر الرمز .

وقد نصت بأحبلها ) لوجدنا من الأسرار الفنية في صياغتها وفي تجانسها الصوتي ، وفي تجانسها مع فكرة النص ، فقد صيغت (من حيث الصوت) متجانسة (قصصت ، قنصت ، بأرجلها ، بأحبلها ) وصيغت (من حيث التركيب) متجانسة مع هدف الخطبة ، فقصص الأرجل هو (رفعها وطرحها) وقصص الأحبل هو (الإصطياد بمحابيل الدنيا) حيث تستهدف الصورتان ما يلي : (أن الموت هو نهاية هذه الحياة) لكن كيف تم ذلك ؟ هناك عنصران : (المبالغة) و(المخادعة) ، يقترنان مع الحياة ، فالمبالغة هي رفع الأرجل ووضعها حيث يتنهى معهما كل شيء ، والمخادعة هي اصطياد الإنسان بشباكها ، وهذا العنصران من أبرز مظاهر (الحرب) وأنجح وسائلها في إلحاق النصر ، فالدنيا هي الطرف الأول من المعركة ، والإنسان هو طرفها الآخر ، والدنيا تمارس هاتين الوسائلتين في حربها مع الإنسان ، إنما تستخدم عنصر المبالغة (قصصت بأرجلها) ثم تستخدم عنصر المخادعة (قصصت بأحبلها)). (١)

#### خامساً : عصر الرسول(ص)

جاء في الخطبة الثانية من نوح البلاغة ومن خطبة له بعد إنصافه من صفين (٢) *أَحْمَدُ أَسْتِمْعَمًا لِيَعْمَتِهِ، وَأَسْتِشَلَّامًا لِيَزْتَهِ، وَأَسْتِعْصَمًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَسْتَعِنُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَائِيَّهِ، إِنَّهُ لَا يَضُلُّ مِنْ هَذَاهُ، وَلَا يَكُلُّ مِنْ عَادَاهُ، وَلَا يَقْتَرُّ مِنْ كَفَاهُ، فَإِنَّهُ أَرْجُحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا حُرِّنَ.*  
*وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُتَّسِخَةً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَدًا مُصَاصُهَا، نَتَّمَسِّكُ بِهَا أَبْدًا مَا أَبْقَانَا، وَنَدْخِرُهَا لَا هَاوِيلَ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا غَزِيمَةُ الإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَانِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ . وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْدِينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْتُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالثُّورِ السَّاطِعِ، وَالضَّيَاءِ الْلَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِرَاحَةً لِلشَّيْبَهَاتِ، وَاحْتِجاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالآيَاتِ، وَتَحْوِيفًا بِالْمُلْلَاتِ، وَالنَّاسُ فِي قِنْ أَنْجَدُمُ فِيهَا*

١- تاريخ الأدب العربي ، البستاني - ص ٢٢٠ .

٢- صفين إسم الأرض التي كانت فيها الحرب ، والنون فيها أصلية ، ذكر ذلك صاحب الصحاح ، فوزنها على هذا فعل كفسيق وخبر وصريح . . . فإن قيل فاشتقاقة ماذا يكون؟ قيل لو كان اسمًا لحيوان لأمكن أن يكون من صفين الفرس إذا قام على ثلاثة وأقام الرابعة على طرف الحافر ، يصفن بالكسر صفتان . . . (شرح ابن أبي الحديد ، ج ١ ، ص ٤٣) . وهو إسم مكان بين الفرات ودجلة أو من نواحي سوريا قرب حلب .

خَبِيلُ الدِّينِ ، وَتَرَعَّرْتُ سَوَارِي الْيَقِينِ ، وَاحْتَلَفَ النَّجْرُ ، وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ ، وَضَاقَ الْمَحْرُجُ ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ ، فَالْهُدَى حَامِلٌ ، وَالْعَمَى شَامِلٌ ، عُصِيَ الرَّعْمَانُ ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ ، وَحُذِلَ الْأَهْمَانُ ، فَاهْخَارْتُ دَعَائِمَهُ ، وَتَكَرَّرْتُ مَعَايِلهُ ، وَدَرَسْتُ سُبْلَهُ ، وَعَقَّتُ شُرَكَهُ ، أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ ، بِهِمْ سَارَتْ أَغْلَامَهُ ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ ، فِي فَقَنْ دَاسْتُهُمْ بِأَحْجَافِهَا ، وَوَطَّنْتُهُمْ بِأَظْلَافِهَا ، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكَهَا ، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ جَاهِرُونَ مَفْتُوْنَ ، فِي خَيْرٍ دَارَ ، وَشَرٍّ حِيرَانٍ . نَوْمُهُمْ سُهُودٌ ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ ، بِأَرْضِ عَالَمَهَا مُلْجَمٌ ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ .  
وَمِنْهَا يَعْنِي آلَ التَّيِّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ :-

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَجَلَّ أَمْرِهِ ، وَعَيْنَهُ عَلِيمَهُ ، وَمَوْئِلُ حَكْمِهِ ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ ، وَجِبَالُ دِينِهِ ، بِهِمْ أَقَامَ أَنْهَاءَ ظَهِيرَهُ ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ .  
وَمِنْهَا يَعْنِي قَوْمًا أُخْرِيًّا :-

رَزَعُوا الْفُجُورَ ، وَسَقَوْهُ الْفُرُورَ ، وَحَصَدُوا الْثُبورَ ، لَا يَقْاسُ إِلَيْهِمْ (صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ ، وَلَا يُسْوِي بَيْنَهُمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبْدًا : هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ . إِلَيْهِمْ يَنْهِيءُ الْغَالِي ، وَبِهِمْ يُلْخَقُ التَّالِي ، وَلَمْ يَحْصَأْصُ حَقَ الْوِلَايَةَ ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ ; إِنَّ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ، وَنُقْلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ !

### الخيال الخصب

قبل الخوض في الحديث عن الخيال لابد أن نقول ان قانون تداعي المعاني الذي نطرحه هنا لهذا العنصر هو قائم على التشبيه والمجاز المرسل والإستعارة والكتابية ، ومن المعروف أيضاً ((إن الكلام المشتمل على الخيال له تأثير رائع على النفوس فلتنتظر على سبيل المثال إلى قول الشاعر :

أنصاره بوجوه كالدنانير سالت عليه شعب الحي حين

أراد أنه مطاع في الحي وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعونهم لحرب أو نازل خطب إلا  
أتوه وكثروا عليه واذحروا حواليه ، حتى نجد them كالسيول ، تجيء من هنا وهناك )) . (١)

هذا ومن جهة أخرى نرى أن الهدف الرئيسي في عرض التشبيه خلال الكلام هو أبراز الفكرة وبتحليلتها جلاءً تاماً ، كي تؤثر في نفس القارئ أو السامع ، نافلاً شعور الأديب في وضوح وقوه ،

كما نرى في كلامه(ع) خلال هذه الخطبة ، حيث يصف أهل البيت: قائلًا : وَكَهْوَفُ كُثِّيَّهُ ، وَجَبَّالُ دِينِهِ ، يعني هم كالكهوف للكتب السماوية وهم كالجبال الراسية للدين الحنيف فهو من باب التشبيه البليغ .

ولو نظرنا من زاوية الإستعارة إلى هذه الخطبة التي يقول عنها الجرجاني (( اعلم أن الإستعارة في الحقيقة . . . هي أمد ميداناً وأشد افتناناً وأكثر جرياناً وأعجب حسناً وإحساناً وأوسع سعة وأبعد غوراً وأذهب نجداً في الصناعة . . وأسرح سحراً . . . ويعت عقلاً ويؤنس نفساً ويوفر أنساً وأهدى إلى ان تحدى اليك عذاري قد تخير لها الجمال وعني بها الكمال )) (١) ، لوجدنا كلام الإمام(ع) مليئ بها ، فانظر إلى قوله(ع) في معرض حديثه عن تدهور الدين : اجْهَدْمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ ، فالحبل عادة يجر به الإنسان الساقط في الهاوية فجعلها(ع) للدين ، فالمتعلق به سيعلو إلى درجات السعادة في الدارين ، وانظر إلى قوله(ع) : عَيْنِي الْمُصْدَرُ فَالْعُمَى إِنَّمَا يَكُونُ لِلْبَصَرِ وَكَتَّبَ بِهَا عَقَائِدَ ، والمصدر عادة لا يكون أعمى فاستعارة العمى للعقائد على سبيل الإستعارة المكنية . وهكذا القول في ( العمى شامل و . . . و . . . ) .

ونجد الإستعارة ماضية إلى نهاية الخطبة ففي قوله(ع) : رَزَغُوا الْفُجُورَ ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ ، فالفجور لا يزرع والغرور لا يسكنى والهلاك لا يقصد ، وإنما جاءت هذه التعبير على سبيل الإستعارة المكنية ، وذلك لأن تماديهم وما سكنت إليه نفوسهم من الإهمال هو الذي أوجب إستمرارهم على القبائح ، فكان ذلك كما يسقي الزرع ويروي بالماء و . . . و . . . مشاهد تحز النفوس وتصلح العقول والأفكار .

ثم انظر إلى وصف الشيطان في قوله(ع) : وَقَامَ لِوَاؤَهُ ، في فِتَنِ دَاسَتْهُمْ بِأَحْقَافِهَا ، وَوَطَّنَتْهُمْ بِأَطْلَافِهَا ، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا ، ففي قوله(ع) داستم استعارة مكنية وفي وطنتهم . . . استعارة مرشحة .

وأخيراً قيل أن الكناية أرفع منزلة من التصريح ، لأن الأديب يقرن دعواه فيها بإثبات أمر من الأمور ، بما يجعل النفس ترتاح إلى إثباته وتطمئن إليه ، لأنه بمنزلة الإتيان ببرهان على الدعوى ، فانظر إلى قول ابن أبي الحديد يقول : (( استماماً واستسلاماً واستعصاماً من لطيف

الكتابية )) ) ( ١ ) ، قوله(ع) : وضاق المخرج ، كنایة عن عدم الوضوح ، قوله(ع) : يَهُمْ أَقَامَ الْأَخْنَاءَ ظَهِيرَةً ، كنایة عن ضعف الدين كما ان الإنسان العجوز ينحني ظهره ، قوله(ع) : وَأَدْهَبَ ارْتِغَادَ فَرَائِصِهِ ، كنایة عن ان الدين كان كالخائف وبالرسول(ص) وآلـ الكرام أصبح آمناً .

### سادساً . أسراء الإيمان

هم الملائكة أفضل عباد الرحمن ، الذين يأتمرون بأوامر الله سبحانه ، وهم سكان السماوات ، حيث تحدث عنهم الإمام علي(ع) في هذا المقطع بشيء من التفصيل والغيب ، وان كتاب الله اعتبر الإيمان بالغيب شرطاً أساسياً في الدين ، ومن البديهي أن يكون الإمام علي(ع) قد خاطب بكلامه هذا الذين يؤمنون بالغيب ، وأما من كفر فعليه كفره ، (وَمَن يَكُفُّ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُفُّيْهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ) (النساء ١٣٦) . و جاء الكلام من الخطبة ٩١ المسماة بالأشباح ، انه (ع) قال: ثُمَّ حَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَوَاتِهِ ، وَعِمَارَةَ الصَّبَّيْحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلْكُوتِهِ ، حَلَقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، وَمَلَأُوا هُمْ فُرُوجَ فِجاجِهَا ، وَحَشَا إِبْرِيمَ فَتُوقَّعَ أَجْوَاهَا ، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ رَجُلٌ مُسْتَحِيْنٌ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ ، وَسُرُّاتِ الْحَجَبِ ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجِيدِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّحِيْمِ الَّذِي شَتَّلَ مِنْهُ الْأَكْمَاعَ سُبْحَانَتُ نُورٌ تَرْدُغُ الْأَبْصَارَ عَنْ تُلُوغِهَا ، فَتَقَيِّفُ حَاسِنَةً عَلَى حَلُودِهَا .

وَأَنْشَأُهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَأَقْدَارٍ مُمْفَاؤَاتٍ ، أُولَئِكُمْ أَجْيَحُهُمْ تُسْبِّحُ جَلَالَ عَزِيزِهِ ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ ، وَلَا يَدْعُونَ أَكْثَرَهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مَعْنَاهُ مِنَ الْفَرَدِ بِهِ ، (بَلْ (عِبَادَ مُكْرَمُونَ \* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقُوَّلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) (الأنبياء ٢٧) جعلَهُمُ الله فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ، وَحَمَّلُوهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَهُنَّهُ ، وَعَصَمُهُمْ مِنْ رُبُوبِ الشُّبَهَاتِ ، فَمَا مِنْهُمْ زَانَعَ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ . وَأَمْدَهُمْ بِقَوَافِلِ الْمَعْوَنَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِحْبَاتِ السَّكِينَةِ ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلُلًا إِلَى تَحَاجِيْدِهِ ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا وَاضْحَى عَلَى أَعْلَامَ تَوَحِيدِهِ ، لَمْ تُشْقِلْهُمْ مَوْصِرَاتُ الْأَيَامِ وَلَمْ تَرْتَلِهُمْ عَقَبَ الْلَّيَالِي وَالْأَيَامِ ، وَلَمْ تَرِمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِغِهَا عَزِيزَةً إِيمَانَهُمْ ، وَلَمْ تَعْتَرِكَ الظُّنُونُ عَلَى مَعَافِدِ يَقِينِهِمْ ، وَلَا فَدَحَتْ قَادِحَةُ الْأَخْنَاءِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَلَا سَلَّبَتْهُمُ الْخَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ ، وَسَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَبَبَةِ جَلَالِهِ فِي أَنْتَاءِ صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوسُ مِنْ فَتَنَّرَعَ بِرِيشَهَا عَلَى فِكْرِهِمْ .

وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْعَمَامِ الدُّلَجِ ، وَفِي عَظِيمِ الْجَيَالِ الشُّمَخِ ، وَفِي قَتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَيَّبِمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ حَرَقَتْ أَفْدَامُهُمْ تَحْوِمُ الْأَرْضِ السُّفْلَى ، فَهِيَ كَرَابَاتٍ بِيَضِّ قَدْ نَقَدَتْ فِي تَحَارِقِ الْهَوَاءِ ، وَتَحْمِلُهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْسِسُهَا عَلَى حَيْثُ انتَهَتْ مِنَ الْحَذُودِ الْمُتَنَاهِيَّةِ .

قَدْ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالٌ عِبَادَتِهِ ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَطَعَهُمُ الْإِيَّانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُجَاوِرْ رَغْبَاهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ . قَدْ دَأَفَوا حَلَاؤَةً مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِالْكَأسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ حَسِيبِهِ ، وَمَكَثُوكُتْ مَنْ سُوِّيدَاءُ قُلُوبُهُمْ وَشَبِيجَةُ حِيقَتِهِ ، فَحَنَّوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اغْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ، وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةً تَضَرَّعُهُمْ ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الرُّلْفَةِ رِيقَ حُشوَعِهِمْ ، وَلَمْ يَتَوَلَّمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْبِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكَانَةً إِلَيْهِ الْإِجْلَالِ نَصِيبًاً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَلَمْ يَتَجَرَّ الْفَتَرَاثُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ ذُوُوبِهِمْ ، وَلَمْ تَغُضْ رَغْبَاهُمْ فَيَحَالُفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ يَحْفَظْ لِطُولِ الْمَنَاجَاهِ أَسْلَاثَ أَسْتِيَّهُمْ ، وَلَا مَلَكَتْهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنَقْطَعُ بِحَمْسِ الْجَوَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاهُمْ ، وَلَمْ يَخْتِلْفُ فِي مَقَائِيمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ ، وَلَمْ يَتَشَنَّوْا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابُهُمْ ، وَلَا تَعْدُوا عَلَى عَزِيزَةِ جَدِّهِمْ بِلَادَةِ الْغَفَلَاتِ ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هَمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ . قَدْ اتَّخَذُوا ذَأْرَهُنَّ ذَرْخِيرَةً لِيَرْوِمُ فَاقِهِمْ ، وَمَعْنَوَهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ يَرْغُبُهُمْ .

لَا يَقْطَعُونَ أَمْدَ غَایَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمِ الْإِسْتِهَنَارُ يَلْزُومُ طَاعَتِهِ ، إِلَّا إِلَى مَوَادٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ عَيْنِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافِهِ ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ ، فَيَنْبُوا فِي جَدِّهِمْ ، وَلَمْ تَأْسِرُهُمُ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْتِرُوا وَشَيْكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ . لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ اسْتَعْظِمُوا ذَلِكَ لَتَسْتَخِي الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتٍ وَجَلِيلَهُمْ ، وَلَمْ يَتَنَقْلُفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِخْوازِ الشَّيْطَانِ عَنْهُمْ وَلَمْ يُقْرِئُهُمْ سُوءَ التَّقَاطِعِ ، وَلَا تَوَلَّهُمْ غَلَلُ التَّحَاسِدِ ، وَلَا تَسْبِّهُمْ مَصَارِفُ الرِّتَبِ ، وَلَا افْتَسَنُهُمْ أَحْيَافُ الْهَيْمِ ، فَهُمْ أَسْرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَنْفَكُهُمْ مِنْ يَنْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا غُدُولٌ وَلَا وَقَنْ وَلَا فُوزُ ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعِ حَافِدٌ ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ يَرِكُمْ عِلْمًا ، وَتَزَدَّادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا .

## الخيال الخالق

اعتمد عنصر الخيال في هذه الخطبة على التشبيه والمجاز والإستعارة والكتابية ، وبعبارة أخرى

لقد استوعب كلام الإمام (ع) جميع عناصر البيان ، حيث يقول ابن أبي الحميد : (( وفي هذا الفصل من حسن الإستعارة وبديع الصنعة ما لإخفاء عليه )) (١) ، ويقول الهاشمي (( فبلاغة التشبيه ترتكز على عنصرين الأول طريقة تأليف ألفاظه ، والثاني إبتکار مشبه به بعيد عن الأذهان ، ولا يحول إلا في نفس الأديب الذي وهب الله له إستعداداً سليماً في تعريف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء ، وأودعه قدرة على ربط المعاني )) (٢) ، وكذلك (( تنشأ بлагنته من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه ، أو صورة بارعة تمثله وكلما كان هنا الإنقال بعيداً قليلاً الخطورة بالبال ، أو متزجاً بقليل أو كثير من الخيال ، كان التشبيه أروع للنفس وأدعى إلى اعجابها واهتزازها )) (٣) .

**الجديد في التشبيه:** انظر إلى كلام الإمام (ع) ، كيف رسم اللون الأسود بحيث لا يخطر على قلب أحد ، فإنك عادة لترى ( ويرون ) اللون الأسود في الفحم ، وبه تضرب الأمثال والتشبيهات ولكنه عدل عن مصدر اللون الأسود إلى أشد اعجاباً في النفس ، فقال (ع) : **مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْعَمَامِ الدُّلُجِ** ( السحاب المطر الأسود ) ، فعدل بك من الفحم الأسود إلى السود الكائن في السحابة المطررة ، حقاً أنها قوه الذكاء والصدق ترشد الأديب إلى ما لا يدركه الآخرون ، وثم أنه (ع) حذف الاداة ووجه الشبه فأتى بما على أعلى درجات التشبيه البليغ المبني على إدعاء ان المشبه والمشبه به شيء واحد ، وهذا الإتحاد فيه نوع من المبالغة تزيد الشوق في النفس ، وإن الكلام على قوله (ع) : **وَنَّ الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ** في اللون الأبيض حيث يقول : **فَهِيَ كَرَایاتٌ بِيَضِّ** ، الذي سبق من قبل . ثم انظر إلى قوله (ع) في اللون الأبيض حيث يقول : **فَهِيَ كَرَایاتٌ بِيَضِّ** ، المعروف أن البياض يتجلی في الجليد والشيب ، وعما أكملها محسوستان لدى الجميع فلا تحتاجان إلى أعمال فكر ودقة نظر ، فعدل عنهما إلى شيء يلفت الإنتماء إلى هذا اللون وهو كونه مع الأعلام ( البيرق ) فإنه خرج عن المألوف والمعتارف إلى شكل جديد ، وإلى صورة بارعة تمثله ، فهذا الإنتماء سيزيد الشوق في الوجدان أكثر . فانظر بعين الدقة والإعتبار إلى هذين التشبيهين

١- أيضاً، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

٢- جواهر البلاغة - أحمد الهاشمي ، ص ٣٤٣ .

٣- البلاغة الواضحة - على الجازم ومصطفى أمين ، ص ٦٥ .

كيف تم بيان حال المشبه في القوة والضعف والصغر والكبير والزيادة والنقصان .

المحاز : هو ضرب من الإيجاز ويظهر فيه الجمال لمهارة الأديب في إختيار العلاقة بين المعنى الأصلي والمحاز ، بحيث يكون المحاز مصوراً للمعنى المقصود خير تصوير ، فانظر إلى قوله(ع) : وَسَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالِهِ فِي أَنْتَأِ صُدُورِهِمْ ، فصدورهم محاز علاقته الكلية ويقصد بها (القلوب ) ، فإطلاق الكل على الجزء فيه نوع من المبالغة التي تؤثر في النفس الأثر الشديد ، وكذلك انظر إلى قوله(ع) : فَخَنَّا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ، فالإختاء محاز يقصد به شدة الخضوع لرب العالمين ، وهو من نوع إطلاق المسبب على السبب .

الإستعارة : لها (( بلاغة من حيث الإبتكار ، وروعه الخيال وما تحدثه من أثر في نفوس ساميها ، ف المجال فسيح للإبداع ، وميدان لتسابق الجيدين من فرسان الكلام ))<sup>(١)</sup> ، ولها أهداف سامية من التجدد في البيان وتوسيع اللغة ، فهي تبرز البيان دائمًا في صورة مستجدة ، فان معاني الألفاظ اذا ردت بتلك الألفاظ عينها ملئها النقوس ، وصرفت عنها ، فانت ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع ، ثم ترى لها في كل واحد منها شأنًا مفرداً وفضيلة مرمونة ، فالمتابع لهذه الفقرة من الخطبة رقم ٩١ ، سيجد الإستعارات متوفرة بشدة فيها ، وهذا يدل على أن الخيال شغل الحيز الأكبر منها وبالتالي يدل على ان مبدعها ذو خيال واسع وعميق وخصب ، فانظر إلى قوله(ع) : وَمَئِرْمُ الشُّكُوكُ بِنَوَازِغِهَا عَزِيمَةً إِيمَانِهِمْ ، فالرمي عادة يكون للسهم أو الرمح ، لا للشك ، فحذف المشبه به ورمز إليه بأحد لوازمه (الرمي ) على طريقة الإستعارة المكنية ، والكلام نفسه ينطبق على قوله(ع) : لم تطبع فيهم الوساوس ، فالطبع في المال والمقام لا في الوساوس . . . وقوله(ع) : وَمَئِرْمُ الظُّنُونُ ، عادة العراك بين المتخصصين لا الظنون . . . وكذا الكلام في قوله(ع) : وَلَا سَلَبْتُهُمُ الْحِيَةُ ، عادة السلب هو للسارق ، فجاءت الحيرة هنا على سبيل الإستعارة . وكذلك القول في : ولا تتنصل في همهم خداع الشهوات ، فالسرعة في السير للأجل لا للخدعة ، وهكذا الكلام في قوله(ع) : لم تأسفهم الإطماع ، وقوله(ع) : ولا تولاهم غل التحاسد ، فالكلام كله استعارة ، ان لم نكن من المبالغين ، فهي مشاهد رائعة تحرر الوجدان عند المستمع .

الكتابية : الكتابة اذا دخلت الجملة بمحاذب بما طرق الحقيقة والمجاز . فهي (( مظهر من مظاهر البلاغة لا يصل إليها إلا من لطف طبعه ، وصفت قريحته ، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، والقضية في طيها برهانها كقول البحتري في المديح :

يغضون فضل الحظ من حيث بدا  
لهم عن مهيب في الصدور محبب  
فأنه كثي عن إكبار الناس للممدوح ، وهبتهم إياه بعض الأ بصار هو في الحقيقة برهان  
و . . . ، وأنها تضع لك المعاني في صورة للمحسوسات ولا شك أن هذه خاصة الفنون ، فأنه  
المصور اذا رسم لك صورة للأمل أو لليلأس ، بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه  
واضحاً ملمساً ))<sup>(١)</sup> ، فلو نظرنا إلى الكتابيات التي جاءت في هذا القسم فنرى قوله(ع) :  
وملأَهُمْ فُرُوجَ فِجاجِهَا ، حيث كثي في كلامه(ع) عن كثرة عدد الملائكة ، وهو بمثابة اراءة  
الدليل ، ومن ثمّ يمكن أن يصور الملائكة (الذين هم من النور ) حسيناً عن طريق كثرة التعداد .  
ثم لننظر قوله(ع) : أُولَى أَجْنِحةَ ثُسَيْغَ جَلَالَ عِزَّهُ ، فاولي أجنة وان كانت من التعابير  
القرآنية ، فهي كتابة عن قدرة الطيران وسرعة الحركة في الملاحة الجوية ، حيث صورهم عن طريق  
الحسن الذي هو الهدف الاسمى في البلاغة ، وكذلك نرى في قوله(ع) : وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ  
مَوْضِعٌ إِهَابٌ . . . ، حيث كثي أيضاً عن العدد الكبير للملائكة بشكل لا يمكنك أن تجد  
موقع قدم للسجود أو السعي في السموات ، فهي كتابة عن كثرة العدد وهي تجلت أيضاً بشكل  
محسوس في الكلام . وهكذا القول في بيانه(ع) فَخَنَّوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ، فالإنهاء  
دليل على كثرة السجود للملائكة ، وتقوس ظهورهم ، صورة حسية يدركها الجميع بكل بساطة ،  
فالكلام جميل جداً ويصب في الجمال روعة وبلاغة اجتمعنا في خدمة العقيدة الكبرى إلا وهي  
الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

\*\*\*



## الدرس الثالث

### وقفة مع القرآن الكريم عند مقامات الحريري

فن التضمين: هو اهداء الزينة للكلام ، و توضيح البيان ، و اتخاذ البرهان القاطع دليلاً لأنيات الحقائق ، يأتي الأديب بما يناسب المقام من الشواهد القرآنية كلمة كانت او آية ، من دون الاشارة اليها في الكلام ، كقول الحريري : انا ابتكم بتأويله ، و اميز صحيح القول من عليه . و لأهمية القرآن الكريم عند الادباء المسلمين خصصنا هذا الدرس.

اما بعد ، فإتني أحبيث في هذا البحث الوقوف بصورة إيجالية على أهمية المقامات في الأدب العربي ، وخاصة الحريري ، ثم التعرف على أسلوبه الفخم ، ذي الجمال البديع ، ثم الأهم من ذلك بيان تأثير القرآن في المقامات سواءً ما جاء منها مباشرة في الكلام أو غير مباشر ، والإشارة إلى بعض المفاهيم القرآنية ، والأسجاع والأوزان القرآنية التي تأثر بها الحريري عند كتابته للمقامات هذه ، فوجدت الموضوعات مختلفة ، وأمر التحقيق واسعاً مجالاته والباب مفتوحاً على مصريعيه لولوج أهل العلم وأرباب الأدب فيه.

#### سع الكلمات

##### ١- من هو الحريري ؟

هو الأديب الكبير أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصريي ، ولد في المشان ( بلدة قرب البصرة ) سنة ٤٤٦ هـ ، وقضى حياته فيها ، وتوفي في السادس من رجب سنة ٥١٦ هـ ، رحمة الله تعالى .

- مكتبه العلمي :

هو بصرى المولد والمنشأ ، وعيل في آرائه الأدبية إليها .

- ٣ ما هي المقامات ؟

((المقامة شبه قصيدة قصيرة ، تدور حول الكدية والإحتيال ، تستخدم لاظهار البراعة اللغوية والأدبية)). (١)

- ٤ قيمة المقامات :

لها من الوجه الأدبية قيم متعددة منها :

آ - لها قيمة لغوية بيانية ، ب - هي صورة جزئية لحياة العصر التي ولد فيه حيث بلغ النشر الفنّ ذروته فيها ، وهي فنّ مستكمل في الأدب العربي .

- ٥ غرض التأليف :

يؤكد الحريري ان للمقامات غرضاً أخلاقياً ، حيث يصر : ((إن الجاهل والشرير ربما يلعنان كتابه ، ولكن القراء الفطين يدركون اذا ما وضعوا التحيز جانبًا إنّه نافع ومفيد كأساطير الحيوانات )) . (٢)

- ٦ ترجمة المقامات :

لأهميةها الأدبية ، وصناعتها البلاغية ، ومواضيعها الأرشادية ، وقيمتها الفنية ، ((ترجحت المقامات الى اللغات الحية في العالم ، منها الإنجليزية ، واللاتينية ، الفارسية والتركية والعبرانية)). (٣)

- ٧ موقف بروكلمان :

يقول بروكلمان في كتابة تاريخ الأدب العربي : ((هذه المقامات آخر ما تتفق عنه العقل العربي ، فهي شيء يبهر العيون ويُسحر العقول لحظة كألعاب النارِية الجميلة ، غير أنها عقيمة عديمة الجذوى كتلك الألعاب سواء بسواء)). (٤)

١ - تاريخ الأدب العربي - حنا الفاخوري ، ص : ٧٣٠ .

٢ - تاريخ الأدب العباسي . نكلسن ، ص ١١٦ .

٣ - تاريخ الأدب العربي . حنا الفاخوري . ص ٧٣٧: .

٤ - تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ج ٥ : ١٤٤ .

## - ٨ - إعجاب نكلسون :

لقد أجاد نكلسون حينما وصف مقامات الحريري قائلاً : ((ولما يمكن للأوروبيين إلا إن يروا القليل من المزايا أو الذوق في الصور اللغوية كالتورية ، والتفافية والجنسان التام والجنسان الناقص في أول الكلمة . . . تلك التي رصعت بها صفحاته (المقامات) ترصيغاً كثيفاً ، . . . ولكن عدم اصطبارنا على مثل هذه الأشياء يجب إلا يعمى بصائرنا عن حقيقة أنها متصلة اتصالاً وثيقاً بعيقرية اللسان العربي وتقاليده ))<sup>(١)</sup> .

## - ٩ - رأى الرمخشري :

أنشد الزمخشري هذين البيتين معرباً عن رأيه في مقامات الحريري :

((أقسى——م بالله وآياته  
ومشعر الحجج وميقاته  
تكتب بالтир مقاماته))<sup>(٢)</sup>.  
إنه قسم عظيم ، واقتراح جميل ، لأنّه من أصحاب الأدب الرفيع ، ولا يتذوق الفن إلا الفنان  
القدير ، فأكرم بهذا المدح من تقدير وتعظيم .

## الحريري وآيات الجمال

هو آية الفن والأدب ، هو آية الإبداع والسحر في الكلام ، إنّه معجزة لعصره والعصور التالية ، وذلك ليس إلا إنّه تلميذ من تلاميذ القرآن العظيم ، يجول في ربوعه حيث شاء ، يشرب من معينه ويأكل من ثراه ، تجري الحكمة على لسانه ، فتأثيره باقٍ ما بقي الدهر ، لم تندرس معالمه على مر الأعوام . فهو آية في كلّ شيء ، آية في النبوغ والذكاء والفضنة ، آية في الارتفاع ، آية في ترصيع الأمثال والحكم ، آية في سرد الكلام والبيان ، آية في نظم الكلمة ضداً وتراداًً ومعنىً ، فاذن هو آية من آيات رب العلمين .

أديب يصوغ الكلام ذهباً ، ويرصعه بالقرآن جوهراً ، وبالأمثال والحكم ترصيغاً ، فله الفضل والسبق في هذا المضمار ، ولا يشقّ له غبار ، شجاع في سوح الخطاب ، أديب يشار إليه

١ - تاريخ الأدب العربي . نكلسون ص : ١٢٣ .

٢ - ايضاً ص : ١٢٣ .

بالبنان ، عزيز عصره ، وحيد دهره ، غرفة زمانه ، عبقرى حسان ، أنبته الله نباتاً حسناً ، فهو الشجرة الطيبة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء ، لا تزعزعه الرياح العواصف ، ولا يميل هواه مع الموى ، بل له عقيدة راسخة تعشقه الأدباء ، فوجدهـه كما يقول : ((يتحلى بروءة ورواية ، ومدارـة ودرـاة ، وبلاـغـة رائـعة ، وبيـهـة مطـاوـعـة ، وآدـاب بارـعـة ، وقدمـلاـعـدـمـالـعـلـومـفـارـعـةـ)) .

### النصوص القرآنية في المقامات الحريرية

حاولت في المجال هذا أن أذكر الآيات الشريفة الباهرة التي جاء بها الحريري في بعض المقامات ، مشيراً إلى سورها وأرقامها من القرآن الكريم ، راجياً من العلي القدير أن أجمعها بالقرب العاجل .

أولاً : ما جاء في المقدمة من الآيات ، فهي عبارة عن :

١ - (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء/ ١٠٧) .

٢ - (إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران/ ٢٦) .

٣ - (بِالْأَحْسَنِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَكْثُرَهُمْ يَنْسِيُونَ صُنْنَعًا) (الكهف/ ١٠٣) .

٤ - (عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود/ ٨٨ ، الشورى/ ١٠) .

٥ - (آيَاتُ مُحَكَّمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ) (آل عمران/ ٧) .

ثانياً : ما جاء في المقام الأول ، فهي عبارة عن :

١ - (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْكَمَهُ) (الأحزاب/ ٣٧) .

٢ - (وَكَادَ (٢) لَكَيْزِرٌ مِّنَ الْغَيْظِ) (الملك/ ٨) .

ثالثاً : ما جاء في المقام الثانية ، فهي عبارة عن :

١ - (أَحَقُّ أَنْ يَتَبعَ) (يونس/ ٣٥) .

٢ - اَنْهُ ((يَا قَوْمٌ)) ، (البقرة/ ٥٤) .

١- من المقدمة للمقامات .

٢- جاء في القرآن (تكاد) ولكن الحريري استخدم (كاد) عوضاً عنها .

٣- (إِنَّ بَعْضَ الظُّلُمَّ إِلَّمْ) (المعجرات/ ١٢) .

٤- (إِلَّا كَلَمْحٌ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) (النمل/ ٧٧) .

رابعاً : ما جاء في المقامات الخامسة ، فهي عبارة عن :

١- (فُؤَادُ أَمِّ مُوسَى) (القصص/ ١٠) .

٢- (لَا جَرْمَ) (هود/ ٢٢) .

٣- فقلنا لا (وَتَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (الرعد/ ٤٣) .

خامساً : ما جاء في المقامات السادسة ، فهي عبارة عن :

١- (لَقَدْ حِجْثَمْ شَيْئًا إِلَّا) (مرم/ ٨٩) .

٢- (فَأَتَيْتَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (الشعراء/ ١٥٤) .

سادساً : ما جاء في المقامات السابعة ، فهي عبارة عن :

١- فقال : (إِنَّا لِلَّهِ (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)) (البقرة/ ١٥٦) .

٢- (وَأَفْوَضُ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ) (غافر/ ٤٤) .

٣- لا حول و(لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (الكهف/ ٣٩) .

سابعاً : ما جاء في المقامات الثامنة ، فهي عبارة عن :

١- (وَاتَّى لَكَ مِنِ الْمُنْذِرِينَ) <sup>(١)</sup> (النمل/ ٩٢) .

ثامناً : ما جاء في المقامات التاسعة ، فهي عبارة عن :

١- (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُلْيِّنَ بِالْفُتْحِ أَوْ أَمْرِي مِنْ عِنْدِهِ) (المائدة/ ٥٢) .

٢- (كَطَّيِ الْبَسِّجِلِ) للكتاب <sup>(٢)</sup> (الأنباء/ ١٠٤) .

٣- ان الآخرة خير له <sup>(٣)</sup> من الأولى (الصحي/ ٤) .

وهكذا دواليك في بقية المقامات ، حيث يبدو للقارئ إن الحريري كان حافظاً للقرآن ، واقتبس من نوره ، فتلأللات اشتعت في كلامه ، ونراه أحياناً يغير الكلمة بما يناسب سياق الكلام ،

١- وإنما الآية هي : (إِنَّا أَنَا مِنِ الْمُنْذِرِينَ)

٢- وإنما الآية هي : لِلْكُتُبِ

٣- وإنما الآية هي : (وَلَأَخْرِجَ خَيْرَ لَكَ)

كما أشرنا في المقامات الخامسة .

### المفاهيم القرآنية في المقامات الحريرية

عندما يقرأ أو يطالع أو يستمع الأديب القارئ لهذه المقامات ، يقف مكتوف اليدين أمام هذا البحر الزاخر ، طائراً إلى المعالي الذي صنعه الحريري ، مشتاقاً لعمله الأدبي ، حيث ترى كيفية خوضه في بحر المعانى الإلهية ، وكيف قمت عملية الإختيار بدقة لهذه المفاهيم القرآنية الواسعة الأفق ، العالية المضامين ، التي لا ينضب معينها ، وتشفي الغليل ، وكل هذا العمل الذى قام به ليس من وراءه مشقة ولا تعب ولا نصب ، ولا تصنع ولا تتكلّف ، فأن هذا الأمر يدل على أن له اليد الطولى في الأدب القرآنى ، وتطلعه فيه ، ومن أجل هذا نشير بسيراً إلى الموضوع فيما يلى :

فمن المفاهيم القرآنية التي زينت المقدمة هي :

- ١ - قوله : نوعذ بك من شرة اللسن ، وفضول المذر ، مقتبس من قوله تعالى : (فُل رَبْ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) (المؤمنون/ ٩٧) .
- ٢ - قوله : كما غمدك على ما اسبغت من العطاء ، مقتبس من قوله تعالى : (وَأَسْبَعَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبِاطِنَةً) (لقمان/ ٢٠) .
- ٣ - قوله : كما نعوذ بك من معرة الل肯 وفضوح الحصر ، متقبس من قوله تعالى : (إِنَّمَا يَنْرَغِنُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَرْغُ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ) (الأعراف/ ٢٠٠) .
- ٤ - قوله : ونستغفرك من شوق الشهوات إلى شوق الشبهات ، مقتبس من قوله تعالى : (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) (البقرة/ ١٩٩) وقوله تعالى : (وَاتَّبِعُوا الشَّهَوَاتِ) (مرم/ ٥٩) .
- ٥ - قوله : ونستغفرك من نقل الخطوط إلى خطوط الخطيبات ، مقتبس من قوله تعالى : (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) (هود/ ٢٥) .
- ٦ - قوله : اللهم فصل عليه وعلى آل الهاديين ، مقتبس من قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصْلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب/ ٥٦) .
- ٧ - قوله : والشفيع المشفع في الحشر ، مقتبس من قوله تعالى : (مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

إِذْنِهِ) (يونس/ ٣) أو مقتبس من قوله تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) (الأنبياء/ ٢٨) .

- قوله : الذي ختمت به النبيين ، مقتبس من قوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّنَ) (الأحزاب/ ٤٠) .

والحديث طويل ، فأعرضنا عن الكلمات الأخرى صحفاً ، حبّاً في الإيجاز .

ومما جاء في المقامة الثالثة من المفاهيم القرآنية هي :

١- قوله : لولاه لم تقطع يمين سارق ، يشير في كلامه هذا إلى قوله تعالى : (وَالسَّارِقُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيهِمَا جُزْءَيْمَا كَسْبَتَا) ، (المائدة/ ٣٨) .

ومما جاء في المقامة الرابعة من المفاهيم القرآنية هي :

١- قوله :

وكلتُ للخلل كما كمال لي على وفاء الكيل أو بخسنه

فانه اقتبس المعنى من قوله تعالى : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَرِزُنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) (الأسراء/ ٤٥) .

٢- قوله :

كلٌّ من يطلب عندي جني فماله إلا جني غرسه

فانه اقتبسه من قوله تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَاتِلَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَاتِلَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلوة/ ٨-٧) .

٣- قوله : هجر القلى (البعض) فانه مقتبس من قوله تعالى : (مَا وَدَعَكَ رُثْكَ وَمَا قَلَى) (الضحى/ ٣) .

٤- قوله : أسرع من ارتداد طرفك اليك ، مأخوذ من قوله تعالى : (أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ) (النمل/ ٤٠) .

٥- قوله : طلب المفتر ، إشتق المعنى من قوله تعالى : (يَئُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ) (القيمة/ ١٠) .

٦- قوله : وكاد جرف اليوم ينهار ، مقتبس من قوله تعالى : (عَلَى شَقَّا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَرَ بِهِ فِي ثَارٍ جَهَنَّمَ) (التوبه/ ١٠٩) .

٧ - قوله : مَنْ إِذَا طَعْمَ اتَّشَرَ ، مقتبس من قوله تعالى : (فَإِذَا طَعْمَتُمْ فَاتَّشِرُوا) (الأحزاب/

٥٣)

وَمَا جَاءَ فِي الْمَقَامَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْقُرْآنِيَّةِ هِيَ :

١ - والذِي أَحْلَى ذِرَاكُمْ ، فمعنى الواو هو القسم ، أقتبسه من قوله تعالى : (وَالَّذِي  
فَطَرَنَا) (طه/٧٢).

٢ - قوله : حَيَّتُمْ يَا أَهْلَ الْمَنْزِلِ ، مقتبس من قوله تعالى : (وَإِذَا حَيَّتُمْ بِتَحْيَيَّةٍ) (النساء/٨٦).

٣ - قوله : مَا عَنْدَكُمْ لَابْنَ سَبِيلِ مَرْمَلِ ، مأْخوذ من قوله تعالى : (فُلِّ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ حَيْثُ  
فَلَلُّوَالَّدِينِ . . . وَابْنِ السَّبِيلِ) (البقرة/٢١٥).

٤ - قوله : يَقُولُ لِي أَلْقِ عَصَاكِ ، مشتق من قوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى أَنَّ الْأَلْقِ  
عَصَاكِ) (الأعراف/١١٧).

٥ - قوله : فِي أُمِّ الْقَرَى ، مقتبس من قوله تعالى : (الشَّنَدِيرُ أُمُّ الْقَرَى) (الأنعام/٩٢).

٦ - قوله : مَا عَنَدَنَا لَطَارِقَ ، فانه استفاد من قوله تعالى : (وَالسَّقَاءُ وَاللَّاطِرِقُ) (الطارق/١).

٧ - قوله : فَمَا سَيَرَ مِثْلَهَا فِي الْآفَاقِ ، مقتبس من قوله تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي  
الْآفَاقِ) (فصلت/٥٣).

٨ - قوله : مَنْ تَظَنَّ السَّرَابَ مَاءً ، مقتبس من قوله تعالى : (كَسَرَابٌ يَقِيعَةٌ يَخْسِبُهُ الظَّنَّانُ  
مَاءً) (النور/٣٩).

وَمَا جَاءَ فِي الْمَقَامَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْقُرْآنِيَّةِ هِيَ :

١ - قوله : الْرَّبِيعُ كَالْفَرْدُوسُ ، فالفردوس جاء في قوله تعالى : (كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدُوسِ  
نُبْلَاءً) (الكهف/١٠٧).

٢ - قوله : فَلَا يَخْدُنُكَ لَوْغُ السَّرَابِ ، مقتبس من قوله تعالى : (يَخْسِبُهُ الظَّنَّانُ مَاءً) (النور/  
٣٥).

وَمَا جَاءَ فِي الْمَقَامَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْمَعَانِي الْقُرْآنِيَّةِ هِيَ :

١ - قوله : وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخَافُ عَلَيْهِ خَافِ ، مقتبس من قوله تعالى : (أَنْتَ الرَّقِيبُ  
عَلَيْهِمْ) (المائدة/١١٧).

٢ - قوله : حتى إذا قضى وطره ، مقتبس من قوله تعالى : (فَلَمَّا قَضَى رَبُّهُ مِنْهَا وَطَرًا) (الأحزاب / ٣٧) .

وما جاء في المقامة الثامنة من المعاني القرآنية هي :

١ - قوله : أو عرج به الى عنان السماء ، مقتبس من قوله تعالى : (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) (الحديد / ٤) .

٢ - قوله : فما أعدب نفاتن فين ، مقتبس من قوله تعالى : (مِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْأَعْقَدِ) (الفلق / ٤) .

نكتفي بما ذكرناه الآن ، فالحديث في هذا المجال طويل ، ويحتاج الى دراسة معمقة ،  
هذا واتك تلمس بوضوح انّ في الكلام صلة مباشرة أو غير مباشرة بالقرآن الكريم ، فمن خلال  
ما مرّ علينا نجد :

١ - ان للحريري اليد العليا في معرفة كتاب الله عزوجل .

٢ - إن اسلوبه تقليداً لاسلوب آيات الذكر الحكيم .

٣ - انه يقتبس المعاني من القرآن ، مختاراً الألفاظ احياناً واخري المعاني .

٤ - انه يضوع المعاني القرآنية باسلوبه الخاص .

٥ - اتک لتشعر بظلال القرآن المجيد قائماً على أرجاء المقامات .

ملحوظة : أعود فاقول ان هناك كلمات أخرى أحصينها ولكن أعرضنا عنها صفحأً ، حباً  
في الإيجاز .

### الأوزان والإسجاع القرآنية في المقامات الحريرية

ممّا لا شكّ فيه ان ما قام به الحريري في مقاماته ما هو إلا طريق القرآن العظيم من حيث  
الأسجاع والأوزان ، مقتدياً به ، ماضياً عليه ، عارفاً له ، فكان سبيلاً الى التقدم المتعالي ، وكان  
التوجه الرئيسي له هادياً ، فكان في العمل موافقاً .

وهنا نشير الى بعض تلك الأوزان باختصار :

١ - فمنها ما جاء في المقدمة ، محتذياً على خطى القرآن الكريم ، قوله من السجع المتساوي

الفصلين : ونستوهو بمنك ، توفيقاً قائداً إلى الرشد ، وقلباً متقبلاً مع الحق ، ولساناً متتحلياً بالصدق ، ونطقاً مؤيداً بالحجة ، كالذى جاء في قوله تعالى : (فَأَمَّا الْيَتِيمُ فَلَا تَنْهَرْ \* وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تُنْهَرْ) ، (الضحى / ١٠).

وكذا قوله : وان تسعذنا بالهدایة الى الدراية ، وتعضدنا بالإعانة على الإبانة (فيه فن الترصيع) وتعصمنا من العواية في الرواية ، وتصرفنا عن الفاهة الى الفكاهة (فيه فن الموازنة).

٢- وزراه يستمر في هذه الأوزان مذكراً ايانا بالقرآن الكريم كما هو مشهود في قوله : فلا نرد مورد مائة ، يقابلها وزن الآية الشريفة : لا أقسم يوم القيمة ، ولا نقف موقف مندمة ، يقابلها وزن الآية الشريفة : (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْوَأْمَةِ) ولا نرهق بتبعة ولا معتبرة ، يقابلها وزن الآية الشريفة : (أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ لَهُنَّ مُجْمَعٌ عِظَامَهُ ، (القيمة/٣)).

٣- ومن السجع الطويل ما جاء في المقامة الرابعة ، قوله : ولا أعطى زمامي من يخفر ذمامي ، ولا أبذل ودادي لاصدادي ، ولا أدع أبعادي للمعادي ، ولا أغرس الأيدي في أرض الأعدادي (فيه فن الازدواج) ، ولا أسمح بمواساتي لمن يقرح بما آتني ، ولا أرى التفاتي الى من يشمت بوفاتي ، ولا أخضّ بجحائي إلا أحجائي .

٤- ومن السجع القصير قوله كما جاء في المقامة الخامسة : فاستهوانا السمر ، الى أن غرب القمر ، وغلب السهر (فيه فن الموازنة) ، وله وزن يذكرنا بالقرآن الحكيم ، قوله : فماترى فيما ذكرت ماترى ، فاته نسجه على منوال الآية الشريفة : الحافة ما الحافة وما أدريك ما الحافة ، (الحافة/٣) .

٥- وأخيراً نعود الى المقدمة ونختتم كلامنا بالدعاء الموزون الذي يقول فيه : اللهم فحقق لنا هذه المنية ، وأنلنا هذه البغية ، ولا تُضحكنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضطحة للماضي (فيه فن الموازنة) ، فقد مددنا اليك يد المسئلة ، ونحوينا بالإستكانة لك والمسكنة (فيه ايضاً فن الموازنة) ، واستنزلنا كرمك الجم ، وفضلك الذي عم ، بضراعة الطلب وبضاعة الأمل ، ثم بالتسلل بمحمد سيد البشر .



## **الفصل الثاني : التحاليل النقدية**

### **التمهيد**

**الدرس الأول : نظرة أدبية إلى دعاء الصباح**

**الدرس الثاني : موقفان للكميت**

**الدرس الثالث: في رحاب دعقل الخزاعي**

**الدرس الرابع : موازنة نقدية**

**الدرس الخامس : وقفة مع القصائد السبع**

**الدرس السادس : رحلة مع العنقاء**



## الممهيد

أيتها بنماذج تطبيقه للنقد على الساحتين النثرية والشعرية ، والقديمة والحديثة حتى يتذوق الطالب الأدب .

هذا ومن جانب آخر لقد أهل النقاد الجانب الأدبي للدعاء الذي يشغل حيزاً كبيراً من ساحة الأدب وعوائد البشر ، ويعد ركناً وثيقاً من أركانه .

فعلى هذا الأساس أني وجدت دعاء الصباح مليء بعناصر الأدب ، من قوة خيال وصور بيان ، وعاطفة غزيرة ، وأسلوب بيان يذيب الفؤاد ، ومعانٍ مترکزة على مفاهيم إسلامية وقرآنية ، صيغت وفق التجارب الإنسانية العليا ، بحيث يشعر القاريء بازدياد إيمانه بالله وتحمّه النشاط والعمل ، بل قل إن الدعاء وظف الأدب لإنجاح مهمة العبودية والسلوك إلى الله . وأما القرآن الكريم فهو أساس الأدب وبيانه الرصين ، فكلما إقترب الأدب من القرآن العظيم والحديث الشريف ، ازداد نوراً وشعوراً وطراوةً ، ومن أجل ذلك مرت بنا آيات للمقامات للحريرية كنماح تطبيقية قليل .

وإن القصائد السبع التي أنشدها ابن أبي الحديد في وصف الإمام علي (ع) ، تعد من أكبر الإنجازات الأدبية التي احتوت على الشعور والصور البدوية ، والمعانٍ الجليلة ، والتعابير السلسلة ، فإنما تستحق الدراسة والنقد ، وما قمنا به إلا فتح باب النقد في هذا المجال .

ثم قدمتنا دراسة تحليلية نقدية لرعيم الأدباء وكبير الفنانين ، المشار إليه بالبنان ، شاعر بلاط سيف الدولة المتبني المعروف ، الذي طار ذكره في البلاد ، وعلت مكانته عند الأدباء ، فحسده جماعة ومدحه آخرون ، جئنا بمذوج من أدبه لإقليم الفائدة لطلاب النقد .

ثم عرجنا على الأدب المعاصر وأخترنا بصعوبة منه ما اشتتمل على عناصر الأدب ، فجاءت قصيدة العنقاء تسعنقا بتجارب الشاعر الذي قام برحالة إلى السماء والأرض والبحر ، والتي

احتوت على قيم شعورية ، وصور بيانية متمايزة .

ثم ذكرنا الكميّت صاحب الثورة ضد القديم (الجاهلي) مستمدّين يد العون من النقد الأدبي ، وخلافاً لما يعتقد البعض بأنّ صاحب الثورة هو أبونواس .

وختاماً أشرنا إلى الفنان الشهيد ، الشاعر الشهير ، شاعر العقيدة والإلتزام دعبد الخراعي المقدام ، ذاكرين موافقه البطولية أمام الطغاة في ساحة الجهاد .

## الدرس الاول

### نظرة أدبية إلى دعاء الصباح

#### التحليل الأدبي

#### ١- المناسبة وتوثيق النص

جاء ((عن الشريف يحيى بن قاسم العلوى ، قال : وجدت بخط سيدى وجدى أمير المؤمنين(ع) وقائد الغر الحجلين ليث بنى غالب على بن أبي طالب<sup>(١)</sup> عليه أفضل التحيات ما هذه صورته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا دعاء علمي رسول الله(ص) وكان يدعو به في كل صباح وهو :

اللهم يا من دلَّع لسانَ الصَّبَاحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ ، وَسَرَّحَ قِطْعَ اللَّيْلِ الظَّلِيمِ بِعَيَاهِ تَلَجُّجِهِ ، وَأَنْفَنَ صُنْعَ الْفَلَكِ الدَّوَارِ فِي مَقَادِيرِ تَبَرُّجِهِ ، وَشَعَشَعَ ضِيَاءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَابُجِهِ ، يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَاهَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَجَلَّ عَنْ مُلَامَةِ كَيْفَيَاتِهِ ، يَامَنْ قَرَبَ مِنْ حَطَرَاتِ الظُّنُونِ ، وَبَعْدَ عَنْ لَحَظَاتِ الْعَيْنَيْنِ ، وَعَلِمَ مِمَّا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ، يَا مَنْ أَرَقَنِي فِي مِهَادِ أَمْنِيَةِ وَآمِانِيَةِ ، وَأَيْقَظَنِي إِلَى مَا مَتَحَقَّى بِهِ مِنْ مِنْيَهِ وَاحْسَانِي ، وَكَفَ أَكْفَ السُّوءَ عَنِي بِيَدِهِ وَسُلْطَانِهِ ، صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَى الدَّلِيلِ إِلَيْكَ فِي اللَّيْلِ الْأَلَيْلِ ، وَالْمَاسِكِ مِنْ أَسْبَابِكَ بِجَلِيلِ الشَّرْفِ الْأَطْوَلِ ، وَالْأَنْاصِحِ الْحَسَبِ فِي ذِرْوَةِ الْكَاهِلِ الْأَعْبَلِ ، وَالثَّابِتِ الْقَدَمَ عَلَى رَحَالِيَفَهَا فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ ، وَعَلَى إِلَيْهِ الْأَخْيَارِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَبْرَارِ ، وَأَفْتَحْ اللَّهُمَّ لَنَا مَصَارِعَ الصَّبَاحِ بِمَفَاتِيحِ الرَّحْمَةِ وَالْفَلَاحِ ، وَأَلْسُنِي اللَّهُمَّ مِنْ أَفْضَلِ خَلْعٍ

الهداية والصلاح ، وأغرس اللهم بعظمتك في شرب جناني يتابع الحشوع ، وأجر اللهم لبيتك منْ  
اماقي رفرات الدُّموع ، وأدب اللهم تَرَقِّيَ المُرْقَ متي يأْمَةَ الْفَنُوَع ، إلهي إِنْ لَمْ تَبْدِئِنِي الرَّحْمَةَ مِنْكَ  
بِخُسْنِ التَّوْفِيقِ فَمَنِ السَّالِكُ بِإِلَيْكَ فِي وَاضِعِ الطَّرِيقِ ، وَإِنْ أَسْلَمْتَنِي أَنَا شَكٌ لِقَائِدِ الْأَمْلَ وَالْمُنْـ  
فَمَنِ الْمَقِيلُ عَنْرَاتِي مِنْ كَبْوَةِ الْهَوَى ، وَإِنْ حَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحَايَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فَقَدْ وَكَلَنِي  
خَذْلَانِكَ إِلَى حَيْثُ النَّصْبِ وَالْجِرْمانِ ، إلهي آتَرَانِي مَا آتَيْتَكَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الْأَمَالِ ، أَمْ عَلِقْتَ  
بِأَطْرَافِ حِبَالِكَ إِلَّا حِينَ بَاعَدْتَنِي ذُنُوبِي عَنْ دَارِ الْوَصَالِ ، فَيُقْسِنَ الْمَطَيِّةُ الَّتِي امْتَطَّتْ نَفْسِي مِنْ  
هَوَاهَا ، فَوَاهَا لَهَا لِمَ سَوَلْتَ لَهَا ظُنُوكُهَا وَمُنْهَا ، وَبَأَنَا لَهَا لِجَرَاهَا عَلَى سَيِّدِهَا وَمَوْلِيهَا ، إلهي قَرَعْتُ  
بَابَ رَحْمَتِكَ بِيَدِ رَجَائِي ، وَهَرَبْتُ إِلَيْكَ لاجِهًا مِنْ فَرْطِ الْهَوَائِي ، وَعَلَقْتُ بِأَطْرَافِ حِبَالِكَ أَنَامِلَ  
وَلَائِي ، فَاصْفَحِ اللَّهُمَّ عَمَّا كُنْتَ أَجْرَمْتَنِي مِنْ زَلَّي وَحَطَّائِي ، وَأَقْلَنِي مِنْ صَرْعَةِ (رَدَائِي) فَإِنَّكَ  
سَيِّدِي وَمَوْلَايِ وَمُعْتَدِي وَرَجَائِي ، وَأَنْتَ غَايَةُ مَطْلُوِي وَمُنْهَايِ فِي مُنْقَلَي وَمُثْوَيِ ، إلهي كَيْفَ  
تَطْرُدُ مِسْكِينَنَا التَّجَأً إِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هَارِبًا ، أَمْ كَيْفَ تُخِيبُ مُسْتَرِشِدًا قَصَدَ إِلَى جَنَابِكَ سَاعِيًّا ،  
أَمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمَنَانَ وَرَدَ إِلَى حِيَاضِكَ شَارِبًا ، كَلَّا وَحِيَاضُكَ مُتَرَعِّهٌ فِي ضَنَكِ الْخَوْلِ وَبَابِكَ مَفْتُوحٌ  
لِلْطَّلَبِ وَالْوُغُولِ وَأَنْتَ غَايَةُ الْمَسْتَوْلِ وَحَمَاهَةُ الْمَأْمُولِ ، إلهي هَذِهِ آزِمَةُ نَفْسِي عَقْلُهَا بِعِقَالِ  
مَشِيشِكَ ، وَهَذِهِ أَعْبَاءُ ذُنُوبِي ذَرَاهَا بِعْفُوكَ وَرَحْمَتِكَ ، وَهَذِهِ آهَوَائِي الْمُضِلَّةُ وَكَتَنَاهَا إِلَى جَنَابِ  
لُطْفِكَ وَرَأْفَاتِكَ ، فَأَجْعَلِ اللَّهُمَّ صَبَاحِي هَذَا نَازِلًا عَلَيَّ بِضَياءِ الْهُدَى ، وَبِالسَّلَامَةِ فِي الدِّينِ  
وَالدُّنْيَا ، وَمَسَائِي جَنَّةً مِنْ كَيْدِ الْعِدَى ، وَوَقَايَةً مِنْ مُرْدِيَاتِ الْهَوَى ، إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَا تَشَاءُ ،  
تُؤْقِي الْمَلَكَ مِنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِي الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مِنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مِنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْحَيْرُ  
إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُولِجُ الظَّلَلَ فِي النَّهَارِ ، وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي الظَّلَلِ ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ  
الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنِ الْحَيَّ ، وَتَرْزُقُ مِنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، لَاللهِ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ  
وَسَمْحَدِكَ ، مَنْ ذَا يَعْرِفُ قَدْرَكَ فَلَا يَخَافُكَ ، وَمَنْ ذَا يَعْلَمُ مَا أَنْتَ فَلَا يَهَاكُكَ ، الْفَتَ بِقُدْرَتِكَ الْفَرَقَ ،  
وَلَفَّتَ بِلُطْفِكَ الْفَلَقَ ، وَأَنْزَلْتَ بِكَرْمَكَ دَيَاجِيَ الْغَسَقَ ، وَأَنْرَتَ الْمِيَاهَ  
مِنَ الصِّيمِ الصَّيَاخِيدَ عَدْبَا وَأَجَاجَا ، وَأَنْزَلْتَ مِنَ الْمَعْصِرَاتِ مَاءَ ثَجَاجَا ، وَجَعَلْتَ الشَّمْسَنَ وَالْقَمَرَ لِلْبَرِّيَّةِ  
سِرَاجَا وَهَاجَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُمَارِسَ فِيمَا ابْتَدَأْتَ بِهِ لُؤْبَا وَلَا عِلَاجَا ، فَيَا مَنْ تَوَجَّهَ بِالْعِزِّيَّةِ وَالْبَقَاءِ ،  
وَقَهَّرَ عِبَادَةَ بِالْمَلَوِّتِ وَالْفَنَاءِ ، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْأَقْيَاءِ ، وَاسْمَعْ نِدَائِي ، وَاسْتَجِبْ دُعَائِي ،

وَحَقْقُ بِعَصْلَكَ أَمْلِي وَرَجَائِي ، يَا حَبْرَ مَنْ دُعِيَ لِكَشْفِ الضرِّ وَالْمَأْمُولِ لِكُلِّ عَسْرٍ وَيُسْرٍ ، بِكَ أَنْزَلْتَ حَاجَتِي ، فَلَا تَرْدَنِي مِنْ سَيِّدِ مَوَاهِبِكَ حَائِيًّا ، يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ ، يَرْحَمْتَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى حَبْرٍ خَلْقِهِ مُحَمَّدٌ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ يسجد ويقول :

إِلَهِي قَلْبِي مَحْجُوبٌ وَنَفْسِي مَغْيُوبٌ ، وَعَقْلِي مَغْلُوبٌ ، وَهَوَائِي غَالِبٌ ، وَطَاعَتِي قَلِيلٌ ، وَمَعْصِيَتِي كَثِيرٌ ، وَلِسَانِي مُقْرَرٌ بِالذُّنُوبِ ، فَكَيْفَ حِيلَتِي يَا سَنَارُ الْعَيُوبِ وَيَا عَلَامَ الْعَيُوبِ وَيَا كَاشِفَ الْكُرُوبِ ، إِغْفِرْ ذُنُوبِي كُلَّهَا بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، يَا غَفَارُ ياغَفارٍ ، يَا غَفَارُ يَرْحَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَكَتَبَ فِي آخِرِهِ : كِتَبَهُ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع) فِي آخِرِ خَمَارِ الْخَمِيسِ حَادِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسِ وَعَشْرِينَ مِنَ الْهِجَّةِ ))<sup>(١)</sup> .

## ٢- الشر

احتوى هذا الدعاء على ١٨ فقرة من المطالب حيث يشير فيها(ع) إلى الموضوعات التالية :

الإبتداء بتحليل الخالق عبر بيان الآيات القرآنية خلال خمس فقرات ، ثم طلب الحوائج وإيضاحها بشكل مبسط ، ثم ذكر التمنيات ، ثم الإشارة إلى الجزء السيء للنفس الأمارة بالسوء ثم الأمل بالرب العظيم . وإلى جانب ذلك الإعتراف بالذنوب ثم ظهور الإنسان أمام المعبود بشكل ذليل ، ثم العودة إلى طلبات جديدة ثم العروج إلى القرآن الكريم ، ثم مدح رب الجليل وطلب الإقبال منه على العبد الحقير ، وأخيراً التوسل به لكشف الضر عن الإنسان ، وإكتساب المواهب والعطايا السنوية من الغني المتعال والإختتام بالصلوة على الرسول محمد(ص) ، هذا بصورة إجمالية ، وإليك التفاصيل :

مدح رب ، مع إشراقة جديدة على الدنيا وتبييد الظلام باشعة الشمس المضيئة نوراً ، ثم تنزيه العزيز المتعال عن مشابخته للمخلوقات ، ثم إرشاده للناس إلى ذاته المقدسة بلا واسطة وهو الأقرب إلينا من حبل الوريد ، والأبعد منا عن إداركه بالأبصار ، وهو الذي يتولى نعمة الإنعام للناس ليلاً من شر الأشرار ، ثم إعطاءهم المنح المختلفة واحفاظه عليهم من المعذبين خاراً ، ثم الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وآلـ الأطهارـ المـادـينـ للـبشرـيةـ جـمـيعـهـ منـ ضـلالـ الجـاهـلـيةـ الحـقـماءـ ، والـذـيـ أـخـتـارـهـ اللـهـ مـنـ الأـصـلـابـ الشـامـخـةـ وـالـشـرـفـ الرـفـيعـ ، الثـابـتـ الـقـدـمـ عـلـىـ أـصـوـلـ

الدين منذ زمن بعيد .

ثم ان هذا الدعاء يعرّج على طلبات وحوائج منها ، فتح أبواب السماء بمحفظات الرحمة وارتداء ثياب المدى والصلاح ، وارواء القلب من بنایع (عيون) الخشوع ، وإجراء الدموع خوفاً من الجبار العظيم ، ثم تأديب الإنسان بالأخلاق الفاضلة والإبعاد عن الغضب والإقتاع بالوجود ، فلا بد في هذا الطريق من إكتساب التوفيق منه تعالى وتوليه سبحانه له عبده حتى لا يستسلم للمني والأحلام ، وحتى يكُف عن الهوى والضلالة ، ونستجير بالله من استسلامنا لأنفسنا ، حيث فيه الحرمان والخذلان وأنه لشديد العذاب ، ربنا لا تكنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً .

ثم يأمل العبد من ربه الأمل الكبير ويتعلق بمحبائل الدين ويتجنب الذنوب المانعة للوصال اليه ، وفي الوقت نفسه يذم الإنسان الذي يركب هواه ، فالويل للنفس من المحن والإبعاد عن المولى تعالى .

وبناءً على هذا يطلب العبد الصفح والعفو من ربّه ويرجو الإقلال عن الذنب ، فليس له طريق سوى الرب المأمول ، الذي لا يطرده رب العالمين ولا يخيب السائلين ، ثم الورود إلى الأحواض لمالك يوم الدين أيام القيمة ، ثم يرى العبد ليس لنفسه حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، حيث يطلب منه دفع ثقل الذنوب برحمته الواسعة ويسند ظهره إلى الألطاف الربانية .

فأهتم شيء يتمناه العبد من الرب سلامه الدين والدنيا ، والنجاة من أعداء الله ، والوقاية من هو النفس الأمارة ، لأنّه قادر المتعال بيده الخير وهو على كل شيء شهيد .

ثم يعرّج الدعاء على الإعتراف بعظمة الله وقدرته الجبارية والخوف منه فقط ، حيث ألقى بين الفرق المختلفة ، وخلق النهار وأذهب الظلم ، وأجرى المياه من الصخور الصماء عذبة ومالحة ، وأنزل الأمطار التي هي مصدر المياه جيئاً من السحب في السماء ، وجعل الشمس ضياءً والقمر سراجاً ، من دون الإحساس بالتعب ولا علاج في العمل فسبحانه المتوكّد بالجبروت وجاعل الفناء للمعبود .

وأخيراً ندعوه كما أمرنا (أدعوني) ، ونرجو منه الإجابة كما وعدنا (استجب لكم) .

### ٣- الأسلوب: فهو متين مبني على الألفاظ القوية منها :

الف : متأثراً بالقرآن الكريم قوله تعالى : (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ

من تَشَاءُ . . ) (آل عمران/٢٧)

باء : إستخدام أساليب الإنشاء المناسبة أكثر للدعاء منها : الأمر : قوله(ع) فاجعل اللهم صبحي . . . فاصبح . . . وامتع . . . ، ومنها النداء : - إلهي هذه أزمه . . . اللهم يا مَنْ دَلَعَ لِسَانَ . . . يا من قرب . . . ، فاتك تشاهد الإفتتان في اسلوب النداء من اللهم إلى يا من والهي . . . بحيث يطرد الملل عن النفس . ومنها الذم : قوله(ع) فَيُنَسِّ الْمُطَهَّرُ . . . ، ومنها القسم : قوله(ع) : وَأَغْرِسِ اللَّهُمَّ بِعَظَمَتِكَ . . . الباء هنا للقسم .

هذا وقد استخدم في مقدمة هذا الدعاء الكلمات المناسبة لشأن الصباح من التبلج (الإشراق ) وتسرى الظلام وإشعاع نور الشمس والتهابها . . .

#### -٤ دروس وعبر:

يتلقى الداعي من هذا الدعاء الدروس التالية :

أولاً : على المؤمن أن يذلل نفسه أمام رب فقط ، كما هو الحال في دعاء الصباح هذا ، مثل الفقرات التالية :

إلهي إن لم تَبْتُرِنِي الرَّحْمَةُ مِنْكَ . . . إلهي وإن خذلني نصرك . . . ويتضاعف هذا الذل والهوان في قوله(ع) ، مخاطباً نفسه قائلاً : فبئس المطية التي امتنعت نفسي من هواها . . . فلماذا نصُرُ على الخضوع لله فقط ؟ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

ثانياً : طلب العون منه تعالى فقط ، لأنه قيل من أستعان بغير الله ذل ، ومن جهة أخرى هو القاهر لعباده والمتمكن من كل شيء والحاكم في الدنيا والآخرة وهو على كل شيء قادر .

ثالثاً : قيل الإعتراف بالذنب فضيلة ، فيما ترى هل يمكن لأصحاب الإيمان ان يعترفوا بالذنوب والخطايا لغير الله تعالى ؟ كما هو الحال في بعض الأديان ، كلاً وألف كلاً ، فلا حاجة للإعتراف أمام الآخرين .

إذن فالذل والإعتراف بالذنوب أمام الله وحده وطلب العون منه فقط وفقط ، هو سبيل الإيمان .

#### -٥ العاطفة :

تجلى العاطفة بأجل صورها وأبدع حالاتها عندما يبدأ العبد مخاطباً ربه الأعلى مشتاقاً إليه

بقوله : أَلَّهُمَّ يَا مَنْ دَلَّ .. يَا مَنْ دَلَّ .. يَا مِنْ قَرْبٍ .. يَا مِنْ أَرْقَدَنِي .. ، مَمَّا يَخْصُ  
بِهِ بِالْتَّقْرِبِ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ : إِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دُعَوةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، وَمِنْ جَهَةِ أُخْرِي نَجِد  
صَدْقَ الْبَيَانِ فِيهَا حَرَأَةُ الْإِيمَانِ ، فِيهَا شَوْقُ الْمُبْعَدِ لِخَالِفِهِ فَالْتَّكَارُ فِي النَّدَاءَتِ مَا هِي إِلَّا شَوْقُ  
الْوَصَالِ ، كَمَا حَصَلَ لِمُوسَى (ع) عِنْدَمَا دَارَ الْحَوَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ لِمَا سَأَلَهُ : (مَا تِلْكَ  
بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) فَأَجَابَ مُشْتَاقًا لِقَرْبِ الْوَصَالِ الرَّبَّانِيَّةِ : (هِيَ عَصَایِي أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا  
عَلَى عَنَبِي وَلَيْ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) (طه ١٨) ، وَالْحَالُ لَوْ اكْتَفَى بِقَوْلِهِ : هِيَ عَصَایِي ، لِأَصَابَ  
الْغَرْضَ وَالْعَنْيَ ، وَلَكِنْ شَوْقُ الْوَصَالِ جَعَلَهُ يَطِيلُ الْخَطَابَ شَوْقًا لِلْحَبِيبِ ، فَمَا أَرَوْعَ هَذِهِ الصُّورُ  
الْقُرَآنِيَّةِ الَّتِي تَجَلتُ فِي هَذَا الدُّعَاءِ .

وَتَجَدُّ مُشَاعِرُ صَادِقَةٍ نَابِعَةً مِنْ أَعْمَاقِ الْفَسَقِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي تَرْغِبُ فِي الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَّةِ طَارِقَةً بِهَا  
أَبْوَابَ السَّمَاءِ تَارَةً ، وَأُخْرَى طَالِبَةً أَلْبَاسِهَا الْخَلْعِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَثَالِثَةً الصَّفَحَ عَنِ الزَّلَاتِ وَالنَّصْرَةِ عَلَى  
الْأَعْدَاءِ وَالْدُّخُولِ فِي الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَطَلْبِ السَّلَامَةِ فِي الدِّينِ .. وَ .. وَ ..  
مَشَاهِدٌ عَظِيمَةٌ رَائِعَةٌ تَتَجَلِّي فِيهَا الرَّحْمَةُ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ .

وَإِلَى جَانِبِ هَذِهِ الْأَحَاسِيسِ تَجَدُّ عَنْصُرُ الْخُوفِ بَارِزًا فِي هَذَا الدُّعَاءِ ، حِيثُ يَقُرَرُ الْعَبْدُ قَائِلًا :  
مَنْ ذَا يَعْرِفُ قَدْرَكَ فَلَا يَخَافُكَ .. وَمَنْ ذَا يَعْلَمُ مَا أَنْتَ فَلَا يَهَاكَ .. وَيُظَهِّرُ الْخُوفُ أَكْثَرَ  
فِي عَظِيمَتِهِ حِينَما يَقُولُ : وَأَنْتَ الَّذِي أَنْرَتَ بِكَرْمَكَ دَيَاجِي .. وَأَنْزَلْتَ الْمِلَاهِ .. ، وَأَنْتَ  
الَّذِي فَهَرَتْ عِبَادَكَ بِالْمَوْتِ وَالْفَتَاءِ .. ثُمَّ انْظَرَ إِلَى عَاطِفَةِ الْأَمْلِ وَالرَّجَاءِ حِيثُ يَقُولُ إِلَهِي  
قَرَعْتُ بَابَ رَحْمَتِكَ بِيْدِ رَجَائِي ، وَهَرَبْتُ إِلَيْكَ لَاجِئًا مِنْ فِرْطِ أَهْوَائِي ، وَعَلَقْتُ بِأَطْرَافِ جَبَالِكَ  
أَنَامِلَ وَلَائِي ، ثُمَّ انْظَرْ كِيفَ يَصْعَدُ شَوْقُ الْأَمْلِ فِي وُجُودِ الدَّاعِيِّ حِيثُ يَطَالِبُ الرَّبَّ الْجَلِيلَ  
قَائِلًا : إِلَهِي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكِينَنَا التَّسْجِنَ إِلَيْكَ مِنَ الدُّنُوبِ هَارِبًا أَمْ كَيْفَ تَخْيِبُ مُسْتَرِشَدًا قَصَدَ إِلَى  
جَنَابِكَ سَاعِيًّا .. وَبِذَلِكَ يَطْرُدُ الْعَبْدُ الْيَأسَ عَنِ نَفْسِهِ وَيَرْجُو الْغُفرَانَ مِنْ رَبِّهِ .. ثُمَّ انْظَرَ إِلَى  
عَاطِفَةِ النَّدَمِ وَالْأَنْفَسِ ، كَيْفَ تَتَجَلِّي فِي قَوْلِهِ : فَيَقْسِمُ الْمُطَهَّرُ الَّتِي امْتَنَطَتْ نَفْسِي مِنْ هَوَاها فَوَاهَا  
لَهَا لِمَا سَوَّلْتَ لَهَا ظُلُوكًا وَمُنَاها وَبَتَّا لَهَا لِجَرَائِحِهَا عَلَى سَيِّدِهَا وَمَؤْلِيَهَا .

وَهَكَذَا أَنْظَرَ إِلَى عَاطِفَةِ طَلْبِ الإِقْبَالِ مِنَ الرَّبِّ الرَّوْفِ عَلَى الْعَبْدِ الْذُنُوبِ حِيثُ يَقُولُ :  
إِلَهِي أَمْ تَبْتَدِئُنِي الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِخُسْنِ التَّوْفِيقِ فَمَنِ السَّالِكُ بِإِلَيْكَ فِي وَاضِحِ الْطَّرِيقِ؟ أَوْ يَقُولُ :

فَاصْفَحِ اللَّهُمَّ عَمَّا كُنْتُ أَجْرَمْتُهُ مِنْ رَّكْلِي وَخَطَايِي . . . فَإِنَّكَ سَيِّدِي وَمَوْلَايِي وَمُعْتمَدِي وَرَجَائِي  
وَأَنْتَ غَايَةُ مَطْلُوبِي وَمُنْتَايِي . . .

وأخيراً يقول : وَاسْمُعْ بِنِدَائِي وَاسْتَجِبْ دُعَائِي وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ أَمْلَى وَرَجَائِي ، ثم انظر إلى  
عنصر الإعجاب بالقدرة الإلهية حيث يقول : اللَّهُمَّ يَا مَنْ ذَلَعَ لِسَانَ الصَّبَاحِ بِطُقْ  
تَبَلِّجْهُ . . . يَا مَنْ ذَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ ، . . . أَفْتَ بِقُدْرَتِكَ الْفَرَقَ وَفَلَقْتَ بِلُطْفِكَ الْفَلَقَ  
وَأَنْزَتَ بِكَرْمِكَ ذِيَاجِي الْعَسْقَ وَأَكْهُرْتَ الْمِيَاهَ مِنَ الصُّمِّ الصَّيَاخِيدَ عَذْبًا وَأَجَاجًا . . .

فلو نظرت بعين الدقة تجد كيف أن هذا العنصر (العاطفة) غطى جميع أرجاء الدعاء، فما  
من قلب وإن كان صخراً إلا ذاب وانصهر في بودقة هذه العاطفة الجياشة ، واستسلم لها وما هذا  
إلا هو الهدف الأسمى للأدب العرفاني .

#### ٦ - عنصر الخيال :

لقد اشتمل هذا الدعاء على مواضيع بلاغية مختلفة نذكر منها :

الف : الإستعارة . وهي كثيرة نشير إلى بعضها :

١ - لسان الصباح : وهي إستعارة مكنية ، شبه الصباح بإنسان على سبيل الإستعارة  
المكنية .

٢ - باب رحمتك : إستعارة مكنية شبه الرحمة منزل ، وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من صفاتيه  
يدلّ عليه وهو الباب على سبيل الإستعارة المكنية .

٣ - وكذلك الحال في مفاتيح الرحمة ومصاريع الصباح .

باء : المجاز - وهي كثيرة نشير إلى بعضها :

١ - سرّح قطع الليل ، التسرّيع عادة للمواشي ولكن استعملها مجازاً هنا ، على سبيل المجاز  
العلقي وعلاقته السبية .

٢ - ازْمَةُ الْقَنْوَعْ : مجاز مرسل علاقته الآلية .

جيم : الكناية - منها :

١ - صرعة الرداء : كناية عن القدرة والإستطاعة .

٢ - أنامل ولائي : كناية عن القدرة والإستطاعة .

DAL : القصر ، منها :

١ - من الذنوب هارباً : تقديم ما حقّه التأخير .

٢ - وأترت بكركك دياجي الغسق - تقديم ما حقّه التأخير .

هاء : الطباق والمقابلة منها :

١ - قرب - بعد ، ٢ - صباحي - مسائي ، ٣ - عذباً - أُجاجاً ، ٤ - هدى - هوى ،

٥ - تعزٌ - تذلٌ ، ٦ - الحبي - المليت ، ٧ - عسر - يسر . . .

وأما المقابلة فهي بالعزّ والبقاء مقابل الموت والفناء .

واو : السجع - فهي كثيرة جداً نذكر منها :

١ - الضرّ - عسر - يسر ، ٢ - تبلّجه - تلجلجه - تبرّجه ، ٣ - ذاته - بذاته ، ٤ -

مجانسة خلوقاته - ملائمة كيفياته ، ٥ - خطرات الظنوون - لحظات العيون ، ٦ - علم بما كان قبل أن يكون .

#### - ٧ الألفاظ والمعاني :

قيل أن الألفاظ أدلة على المعاني فعلى الأديب أن يحسن اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني التي تخلج في ضميره وإلاً فسيكون عمله أبتر و معانيه ناقصة .

وكذلك من المعروف أيضاً أنه كلما ازدادت الألفاظ حروفًا اكتسبت الكلمات معاني جديدة .

فبناءً على ما تقدم لننظر إلى بعض الألفاظ في دعاء الصباح :

١ - تجد معنى الشدة في لفظي ( تلجلجة ) و ( شعشع ) لما فيهما من تكرار الحروف فلو استعملت من دون تكرار لما تذوقنا هذا المعنى .

٢ - تجد معنى التكرار في هذه الألفاظ ( تبلّجه - تبرّجه - تأجّجه ) واضحاً ، فلولا وجود التضييف لزالت مفهوم التكرار ، وأنت خبير بأن الله سبحانه وتعالى يجدد عملية الإشراق يومياً .

٣ - تجد معنى التكثير في الكلمات التالية : سرّح - علقت . . . فالتسريحة قائمة على قدم وساق ما زالت السموات والأرض باقية ، والتعليق ( التمسك ) بحبل الله موجود مادام الإنسان المذنب موجوداً .

٤ - تجد معنى الإنخاذ في قوله ( يا مَنْ تَوَحَّدَ بِالْعِزِّ (أى تفرد ) وَالبَقَاءُ ) فليس غيره إلاً ذليل حقير ، ففي هذه العبارة ترى : الوحدانية خاصة به ، سبحانهك لا إله إلا أنت ، والعزة خاصة به أيضاً ، لاته هو القائل : (فَإِنَّ الْعِزَّةَ إِلَهٌ جَمِيعًا) ( النساء/ ٢٦) ثم يمنحها من يشاء (عِزٌّ مَنْ شَاءَ وَتُنْذَلُ مَنْ شَاءَ) (آل عمران/ ٢٦) ولا يمنحها إلا لرسوله(ص) والمؤمنين حيث يقول : (وَإِلَهُ الْعِزَّةُ وَإِلَرْسُولُهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ . . .) ( المافقون/ ٨) . وأئمـا البقاء فخاصـ به تعالى دون عبادـه حيث يقول : (وَيَنْهَا وَجْهَ رَبِّكَ دُوَّالَحَلَالِ وَالْأَكْرَامِ) ( الرحمن/ ٢٧) ، كانت هذه إشارة عابرة ولو دققنا النظر لذقنا معنى الأدب أكثر .

\*\*\*

## الدرس الثاني

### موقفان للكميّت

أما بعد فللكميّت مواقف عديدة في حياته الأدبية ، نكفي بالإشارة إلى موقفين اثنين ، ألا وهما الأول : التغزل بأهل البيت ، والثاني : الثورة ضد القديم ، ولكن يجدر بنا قبل الخوض في الكلام من التعرف على هذه الشخصية الأدبية بياحاز : فنقول :

هو أسدى النسب ، عالم بآنساب العرب وأيامها ، موطنه الكوفة ، شاعر نال الشهادة بدعاء الإمام زين العابدين(ع) سنة ١٢٦ هـ ، كانت ولادته أيام مقتل الحسين(ع) ، وله اليد الطولى في لغات العرب ، أوحدي زمانه في الأدب .

#### شاعر العقيدة

هو الذائب عن أهل البيت ، لا لأجل حطام الدنيا ، بل لإكتساب الثواب في العقبي كما جاء ذلك في روايات ، منها :

١ - ما قاله الإمام زين العابدين(ع) : ((توباك يعجز عنه ، ولكن ما عجزنا عنه ، فإن الله لا يعجز عن مكافأتك ، اللهم اغفر للكميّت ، اللهم اغفر للكميّت ، فقال الكميّت : لو وصلتني بدانق ( الدانق سدس الدرهم ) ، لكان شرفاً لي ، ولكن أن أحبيت أن تحسن إليّ فادفع إليّ بعض ثيابك على جسدي أتبرك بها ، فقام(ع) فنزع ثيابه ودفعها كلّها إليه ثم قال : اللهم ان الكميّت جاذ في آل رسولك وذرية نبّيك ، بنفسه حين ضئّ وبخل الناس وأظهر ما كتمه غيره من

الحق، فامته شهيداً وأحجه سعيداً، وأحسن له الجزاء عاجلاً وأجزل له المثوبة آجلاً )) . (١)

٢- ((عن أبي بكر الحضري قال : استأذنت للكميت على أبي جعفر محمد بن علي(ع) في أيام التشريق بمنى فأذن له ، فقال الكميت : جعلت فدالك أي قلت فيكم شرعاً أحبب ان اشدهك ، فقال(ع) : يا كميت اذكر الله في هذه الأيام المعلومات وفي هذه الأيام المعدودات ، فأعاد عليه الكميت القول ، فرق له أبو جعفر (ع) فقال : هات ، فانشدته قصيده حتى بلغ :

يُصْبِّيْ بِهِ الرَّامُونَ عَنْ قَوْسِ غَيْرِهِمْ فِيَاخْرُ أَسْدِيْ لِهِ الْغَيْرُ أَوْلُ  
فَرِعْرُ أَبُو جَعْفَرٍ (ع) يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُمْكِيتٍ (٢).

٣- (( عن محمد بن سهل صاحب الكميـت قال : دخلت مع الكميـت على أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد (ع) فقال له : جعلت فداك ألا أنسشك ؟ قال : إـنـا أيام عظام ، قال : إـنـا فيـكم ، قال : هـات ، وبعث أبو عبدالله (ع) إلى بعض أهله فـقرـبه فـانـشـده . . . فـرفع جعفر الصادق رضي الله عنه يديه وقال : اللـهـمـ اغـفـرـ لـكـمـيـتـ ما قـدـمـ وـأـخـرـ وـما أـسـرـ وـأـعـلنـ ، وـأـعـطـهـ حتى يـرضـيـ ، ثـمـ أـعـطـاهـ أـلـفـ دـيـنـارـ وـكـسـوـةـ ، فـقالـ الـكـمـيـتـ : أـحـبـيـتـكـمـ لـلـآخـرـةـ ، فـأـمـاـ الشـيـابـ التـيـ أـصـابـتـ أـجـسـادـكـمـ فـأـتـيـ اـقـبـلـهـاـ لـلـبـرـكـةـ وـأـمـاـ المـالـ فـلـاـ أـقـبـلـهـ)). (٣)

الروايات الأخيرة تناهت متشابهتان جداً ، مع فارق يسير ، إلا وهو أن الكميّت أمّا أنشد هذه القصيدة عند الإمام الباقر (ع) أو عند الإمام الصادق (ع) ، أو عندهما جميعاً .

صاحب الخصال العشرة

(( كان في الكميّت عشر خصال لم تكن في شاعر ، كان خطيب أسد ، فقيه الشيعة ، حافظ القرآن العظيم ، ثبت الجنان ، كاتباً حسن الخط ، نسبة جدلاً ، وهو أول من ناظر في التشيع ، رامياً لم يكن في أسد أرمي منه ، فارساً شجاعاً ، سخيناً ديناً )) . (٤)

<sup>١</sup> - الدرجات الرفيعة - المدن - السيد علي خان - ص : ٥٧٠ .

٢ - الأغانى - الاصفهانى - أبوالفرح - ج ١٧ : ٢٤ .

$$1.95 \times 10^{-1} = 1.95 \times 10^{-1} \times 10^3 = 1.95 \text{ m} = 1.95 \text{ km} = 1.95 \text{ km}$$

١٩٦٠ - ٢

## شعره

بلغت عدد أبياته أكثر من خمسة آلاف بيت ، وهو من أشعر الشعراء من الأولين والآخرين ، وأفصح أهل زمانه ، عالم باللغة ، خبير بالتاريخ . . . ولقد احتوى شعره على مختلف الأغراض الشعرية من المدح والهجاء ، والذم والرثاء والوصف و . . . وأرى بعض التعسف ظهر من الجاحظ وعمر فروخ في حّقه لما قال الأخير : ((إن الكميٰت مدح الأمويين تكسباً ، فان مدائهم أجود من مدائـه في بني هاشم ، فالإجادـة في المديح ترجع أحياناً إلى الأمل بكثرة العطاء أكثر مما ترجع إلى الإعجاب والموافقة في المبادئ))<sup>(١)</sup> . حيث لم يذكر شاهداً واحداً على ذلك ، والعكس صحيح لأن الكميٰت يقول : إنما أحبيتكم للأخرـة ، وأنا لا أعلم هل قرأـ الجاحظ أو عمر فروخ القصائد الهاشميةـ التي مدح فيها آلـ البيت ، وهي التي تعدـ عند الأدبـاء وأصحابـ الرأـيـ من أجـودـ قصـائـدهـ ، ولا يختلفـ في ذلكـ اثنـانـ ، ثم انـظرـ إلىـ كـيفـيـةـ قـلـبـ الحـقـائـقـ لـماـ يـقـولـ : فالإجادـةـ فيـ المـديـحـ تـرـجـعـ أـحـيـاـنـاـ إـلـىـ الـأـمـلـ بـكـثـرـةـ الـعـطـاءـ أـكـثـرـ مـاـ تـرـجـعـ إـلـىـ إـلـيـعـاجـابـ .ـ بـالـلـهـ عـلـيـكـ أـيـهـماـ أـشـدـ تـحـريـكاـ لـلـعـاطـفـةـ الـأـمـلـ فـيـ الـمـادـيـاتـ أـمـ إـلـيـعـاجـابـ فـيـ الـمـعـنـوـيـاتـ ؟ـ ثـمـ انـظـرـ إـلـىـ مـاـ قـالـهـ الفـرزـدقـ لـلـكـميـتـ ((وـالـلـهـ لـوـاجـتـزـمـ إـلـىـ سـواـهـ (ـيـعـنيـ آـلـ الـبـيـتـ) ، لـذـهـبـ قـولـكـ باـطـلاـ))<sup>(٢)</sup> .ـ وـاجـعـ الغـدـيرـ جـ ٢ـ :ـ ١٩٠ـ ،ـ تـجـدـ مـاـ يـشـفـيـ الغـلـيلـ .ـ

## التهديد بالقتل

ما عاقبة المجاهدين في سبيل الله إلا القتل أو التشريد والنفي . هذا ما أصاب الكميٰت الذي كان يمدح بني هاشم ، ويهجو الأمويين الأعداء ، كما جاء في قصيـتهـ الـلامـيـةـ :

أـلـ قـلـ عـمـ فـيـ رـأـيـ مـتـأـمـلـ

وـهـلـ مـدـبـرـ بـعـدـ إـلـسـاءـ مـقـبـلـ

حـتـىـ أـتـىـ عـلـىـ هـذـاـ الـبـيـتـ :

يـصـيـبـ بـهـ الرـامـونـ عـنـ قـوسـ غـيرـهـمـ

فـيـ آـخـرـ أـسـدـىـ لـهـ الغـيـرـىـ أـوـلـ

حـيـثـ كـتـبـ خـالـدـ إـلـىـ هـنـشـامـ :ـ آـنـ هـذـاـ الشـعـرـ لـلـكـميـتـ ،ـ فـلـمـ قـرـأـ عـلـيـهـ هـذـاـ الـبـيـتـ ((ـاـشـتـدـ غـيـظـهـ ،ـ فـكـتـبـ إـلـىـ خـالـدـ يـأـمـرـهـ أـنـ يـقـطـعـ يـدـيـ الـكـميـتـ وـرـجـلـيـهـ ،ـ وـيـضـرـبـ عـنـقـهـ ،ـ وـيـهـلـمـ دـارـهـ ،ـ

١- تاريخ الأدب العربي - فروخ - عمر - ج ١ : ٦٩٨ .

٢- تاريخ الأدب العربي - البستان - محمود - ص ٤٤٣ .

(( و يصلبه على تراها )) . (١)

الشاعر والمناسبة

حدث محمد بن سهل ، قال : دخلت مع الكميت على أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق(ع) في أيام التشريق ، فقال ، جعلت فداك ألا أنشدك ؟ قال آنها أيام عظام . . . الرواية مذكورة آنفاً.

وقفة مع القصيدة

هنا نذكر عدة أبيات منها مع شرحها :

- ١- ألا هل عمِّ في رأيِهِ متَّامِلُ
  - ٢- وهل أمَّةٌ مستيقظون لرشدِهِم
  - ٣- فقد طال هذا النوم واستخرج الكري
  - ٤- وعُطَّلَتِ الأحكَامُ حَتَّى كَانَتَا
  - ٥- كلامُ النَّبِيِّينَ الْهَدَاةُ كَلَامُنَا
  - ٦- رضينا بِدُنْيَا لَا نُرِيدُ فِرَاقَهَا
  - ٧- ونَحْنُ بِهَا مُسْتَمْسِكُونَ كَأَنَّهَا
  - ٨- أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطَوْلِهَا
  - ٩- نعاَلُجُ مِرْمَقًا مِنَ الْعَيْشِ فَانِيَا
  - ١٠- فَتَلَكَ أَمْوَالُ النَّاسِ أَضَحَتْ كَأَنَّهَا
  - ١١- فِيَا سَاسَةٌ هَاتَوْا لَنَا مِنْ حَدِيثِكُمْ
  - ١٢- أَهْلُ كِتَابٍ نَحْنُ فِيهِ وَأَنْتُمْ
  - البيت الأول : (المفردات والإعراب )

عوض ، وأصلها عمى ، والعمى هنا للبع

الصُّدُور) (الحج/٤٦) . ورأيه : فكره ونظره ، ومتأمل : مفكر ، وهو خير لـ(هل عِم) والإستفهام في الموضوعين للمعنى ، وبين مدبر ومقبل طباق .

معني البيت : ألا أيها الناس أتَنِي أَعْنِي للإنسان الصالٌ أن يعي النظر في أفكاره وسلوكه ويبحث عن الحق حتى يصيبه ، ويتجنب الصلاة ، عارضاً هواه ، وأعْنِي كذلك للإنسان المسيء والمذنب أن يعود ثانية إلى الصواب ، ويقلع عن الشر ويخرج من الظلمات إلى النور ، ويقبل على الأعمال الصالحة ويطيع رب العظيم .

البيت الثاني : (المفردات) ، الرشد ضد الغي والضلال ، قال تعالى : (لَا إِكْرَاهٌ فِي الَّتِينَ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة/٢٥٦) . النعسة : السنة ، قال تعالى : (إِذْ يُعَذِّبُكُمُ التَّعَاصُرُ أَمْنَةً مِّنْهُ) (الأفال/١١) ، وهي مفعول به ، والمتزمل فاعل وهو النائم الملتطف بشياهه ، وهي كناية عن المقصر والتهاون بالأمر ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قُمُّ الْلَّهِيَّنَ إِلَّا قَلِيلًا) (المزمول/٢١) ، والفاء في (فيكشف) سبية ناصبة ، والإستفهام في أول البيت للمعنى .

البلاغة : بين البيت الأول والثاني اطناب من نوع ذكر العام بعد الخاص حيث ذكر الفرد ثم المجتمع .

معنى البيت : الشعب حائم في الضلال من جور الحكام ، ويتمني الشاعر لو أنَّ الأمة الإسلامية تستيقظ من سباتها ، وتعي الأمور ، وتطرد الضلال والظلم عنها ، فتعود إلى وعيها وثقافتها القرآنية ، وبذلك تسترجع حضارتها ومضيها التليد .

والشرح طويل ولكننا نكتفي بهذا القدر منه ، ونستخرج من كلام الشاعر ما يلي : إنَّ أشعار الكمي تصور المجتمع في ذلك العصر ، ونرى كيف أنَّ الإعلام التضليلي الذي مارسته الدولة الأموية أثرت على الشعب من أصلاله وأغفاله ، وهم يتظاهرون بالدين دون العمل به ، بل جاءت أعمالهم تقليداً للدورة الجاهلية ، وأنهم تمسكوا بالدنيا وزخارفها وأعرضوا عن الآخرة وثوابها ، لأجل عيش زهيد .

وإضافة إلى ذلك كله ، لقد يستخدم الشاعر الصناعات الأدبية والبلاغية حتى يزيّن كلامه القوم ، وتأثير في السامعين ، حيث يروي لنا ظلم المتجاوزين بأشد أنواعه من التنكيل والتضليل وإغفال المسلمين ، وتبعد آثار ذلك بإظهار الأسف والحسنة على ما يلاقيه المسلمون من جور

السلطين .

إذن هو آية في الإبداع الفني بإسلوبه الرصين .

**أما الموقفان فهما:** -

١- قيل إن أول من عارض السنن الشعرية في الأدب العربي هو أبو نواس ، ولكن لو تصفحنا الأدب في العصر الأموي ، ووقفنا قليلاً عند الكميت سترى خطأ هذا الرأي ، وسوف نذعن بأنَّ السابق في هذا المضمار هو الكميت الذي وضع الحجر الأساس لهذا التجديد في الأدب ، حيث أثَّر ضد القديم ضد أقوال الشعراء القدامى ، الذين بكوا الديار والاطلال ، وجرت دموعهم سللاً على الحبوبة والبنان الخضيب حيث يقول :

طربُتْ وَمَا شَوْفَأَ إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ  
وَلَا لَعْبًا مِنِي وَذُولَ الشَّوْقِ يَلْعَبُ  
وَلَمْ يَلْهُنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مِنْ زَلِ  
(١) فَكَلَامَهُ هَذَا رَفِضَ صَرِيعَ الْقَدِيمِ مِنْ آرَاءِ الشَّعْرَاءِ الَّذِينَ غَنَّوْا بِهَذِهِ الْمَفَاهِيمِ رَدْحًا مِنَ الزَّمَانِ  
غَيْرَ قَلِيلٍ ، أَمْثَالُ امْرَأِ الْقَيْسِ وَعَنْتَةِ وَ . . .

٢- ثمَّ أَنَّهُ يرفض الخرافات المورثة عن الأجداد والأباء والتي أصبحت جزءاً من العقائد الراسخة في أذهان الأمة وحتى عند الأدباء ، فهو يرد الفأل بالطير والحيوانات ولا يرى فيها الخير والشرّ ، والسوء والعقاب ، وينفي كلَّ ذلك بقوله :

وَلَا السَّانَاحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشَيَّةً  
أَمْرَ سَلِيمُ الْقَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ  
ثُمَّ تَرَاهُ بَعْدَ هَذَا الرَّدِ القاطِعِ لِعَقَائِيدِ الشَّعْرَاءِ الْخَرَافِيَّةِ (مِنَ الْوَقْوفِ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالْبَكَاءِ  
وَإِظْهَارِ الْحَسْرَةِ وَ . . .) وَكَذَلِكَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى عَقَائِيدِ الْعَامَةِ مِنَ الشَّعْبِ ، فَهُوَ يَرْشِدُنَا إِلَى الطَّرِيقِ  
الصَّحِيفِ ، وَإِلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مُتَخَلِّذًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُنْهَجًا قَوْمًا ، فَهُوَ أَوْلَأُ يَطْرَبُ شَوْقًا إِلَى  
أَصْحَابِ الْفَضْلِيَّةِ وَالْعُقُولِ الْمُنْتَرَةِ ، خَيْرُ أَبْنَاءِ آدَمَ ، بَنِي هَاشِمٍ آلِ الْبَيْتِ النَّبِيِّ ، الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ  
عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرُوهُمْ تَطْهِيرًا ، فَبِحَبْبِهِمْ يَتَقَرَّبُ الْكَمِيتُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِنَالَ غَدًا بِذَلِكَ الشَّوَابِ  
الْجَزِيلِ ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ طَولَ حِيَاتِهِ مُجَاهِدًا لِأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْأَمْوَابِنِ الْطَّغَاةِ وَالْخَوَاجِ الْمُنْحَرِفِينِ ،

متحملًا المصائب والأذى في سبيلهم كما يفصح عن ذلك بقوله :

إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بَحَبُّهُمْ  
بَنِي هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ، فَإِنِّي  
وَعَصَيْتُ رَسُولَهُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ  
قَائِلًا : (فَمَنْ أَعْتَدَنَا عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدْنَا لَهُ عَلَيْهِ) (البقرة / ١٩٤) ويقول الكميـت :

وَأُرْمَى وَأُرْمَى بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا  
وَمِنْ جَهَةِ أُخْرَى تَجَدُّ حَبَّهُ قَرَآنِي وَلَيْسَ لَهُ صَلَةٌ بِالْهُوَى وَالْهُوَسِ ، أَوْ إِكْتَسَابِ مَالٍ أَوْ تَقْرُبِ  
لِسْلَاطَانِ أَوْ . . . ، وَالْحَبَّ غَرِيْبَةٌ فَطَرِيْةٌ يَحْمِلُهَا النَّاسُ جِيْعًا مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ ، رَجُلٌ أَوْ إِمْرَأَ ،  
وَلَكَنَّهُ يَشْتَدُ أَحْيَانًا وَيَضَعُفُ أَخْرَى بَيْنَ النَّاسِ وَالْمَوَارِدِ الْمُخْلَفَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِلْحَبَّ مِنْ مَعْنَى فَلَا بدَّ  
أَنْ يَتَخَذَ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً حَتَّى يَرْشِدَ إِلَيْهِ الْإِنْسَانَ إِلَى الصَّوَابِ وَبِهِ يَكْتُبُ الْجَنَانَ ، فَحَبَّ الْكِتَابِ  
ثَابَتْ لَا زَوَالَ لَهُ بِالسَّبَبِ إِلَى آلِ الْبَيْتِ: كَمَا يَقُولُ :

خَفَضْتُ لَهُمْ مَنِّي جَنَاحَيْ مُودَّةً  
بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيِّ سَنَةٍ  
يُعِيْسُونِي مِنْ خَبَّهُمْ وَضَلَالَهُمْ  
وَقَالُوا : تَرَابِيْ هَوَاهُ وَرَأْيَهُ  
عَلَى ذَاكَ أَجْرِيَّاِيِّ فِيْكُمْ ضَرِيْتَ  
إِذْنَ تَرَى صَدَقَ كَلَامَهُ وَمَشَاعِرَهُ ، وَإِثْبَاتَ ذَلِكَ بِالْبَرَاهِينِ الْعُقْلَيَّةِ وَالْمُنْطَقِيَّةِ مُثْلُ قَوْلِهِ بِأَيِّ كِتَابٍ  
أَمْ بِأَيِّ سَنَةٍ . . . ، وَيَرْجَأُ مِنْشَا العَدَاوَةِ إِلَى الضَّلَالَةِ ، وَيَرْدُ عَلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ الْقَاطِعِ ، بَاتَهُ الْمَفْطُورُ  
عَلَى حَبَّ آلِ الْبَيْتِ ، مَهْمَا حَارَبَهُ الْعَرَبُ ، وَأَجْلَبَتْ عَلَيْهِ الْعَسَكِرُ ، فَعَوَاطِفُهُ حَارَّةٌ مُلْهَمَةٌ مِنْ  
الْقَرْآنِ وَالسَّنَةِ ، يَقْدِمُهَا لِلقارئِ بَعْدَ مَا جَرَّهَا فِي حَيَاتِهِ وَتَعْرِفُ عَلَى الْحَقَائِقِ ، فَهُوَ لِيْسَ كَالشَّيْبَابِ  
الْطَّائِشِ يَعْشُقُ أَحْيَانًا وَيَلْهُو أَخْرَى وَيَلْعَبُ تَارَةً . . . ثُمَّ يَعْرُضُ .

إِذْنَ فَالْكِمِيتُ هو صاحب الثورة ضد القديم على منهج الشعراء الجاهليـين ، وهو السالـك  
الـسـيـيلـ الجـديـدـ فـي التـغـزـلـ بـالـنـبـيـ(صـ)ـ وـآلـهـ الطـاهـرـينـ .

## الدرس الثالث

# في رحاب دعبدل الخزاعي

### جهاد دعبدل

من السنن التي تفرض نفسها على الإنسان هو الدفاع عن النفس والمال والعقيدة ، فما بالك لو كان الأمر من العلي الأعلى الذي يأمر المسلمين وأصحاب الإيمان أن يجاهدوا في سبيله حتى ينالوا الجنة . وللجهاد أشكال مختلفة منها بالسيف ، ومنها بالقلم ، ومنها بالبيان والهجاء للظالمين الطغاة ، ومنها . . . ومن الذين جاهدوا بآياتهم وبيانهم دعبدل الخزاعي الشهيد الذي حمل خشبته على كتفه أكثر من ثلاثين حجة ولم يتجرأ أحد على صلبه عليها ، إتخاذ سبيل الهجاء طريقاً له إلى الجنة كما سوّض ذلك بعد قليل .

كانت عند دعبدل الخزاعي وعنده كل مسلم شيعي مخلص خصلة واحدة إلا وهي قول الحق ، حيث جاء في الخبر : الساكت عن الحق شيطان آخر . فلا بد لنا قبل الخوض في الموضوع أن نقف قليلاً لدى فكرة الدفاع عن الحق مهما كلف الأمر ، وإذا وقفنا على هذه الفكرة بصورة جيدة وكاملة ، حينئذ يتحقق لنا أن نصدر حكماً لدعبدل أو عليه ، وحينها يتحقق لنا دعم موافق دعبدل أو ردّها .

### قول الحق

وأتنا قول الحق فاتحًا مستمدة من القرآن الكريم حيث يحدّينا الله تعالى في كتابه عن الواجب

الملقى على عاتق المؤمنين ضد العتاة الظالمين والجبابرة المعتدين ، وذلك لما قال جل شأنه موسى(ع) : (اذهب إلى فرعون إله طغى) (طه/٢٤) ، ورأينا كيف صمد موسى(ع) أمام فرعون حيث دحره هو وجنوده فكانوا من الخاسرين ، وأمثال هذه المواقف البطولية التي انتهجتها أبيدي الأنبياء (ع) والصالحين في حياهم كثيرة ، حسب ما يحكى القرآن الكريم .

إذن فالواجب على كل مسلم وفي أي زمان كان أو مكان ، أن يقف وقفة الصمود والتحدي أمام المتجاوزين الظالمين .

ومن جانب آخر ترى السيرة النبوية هي الأخرى علمتنا صور الصمود أمام الطغاة ، فهذا رسول الله(ص) لم يشن عزمه أمام طواغيت وجبارية زمانه أمثال أبي سفيان وأبي جهل ، ومن مال ميلهما ، ثم أضف إلى ذلك سيرة الأئمة الأطهار ، حيث يحدثنا التاريخ عن مواقفهم البطولية وحركتهم الجهادية في وجه الطغاة ، وعلى رأسهم الإمام الشهيد الحسين(ع) الذي يقول : ((فإني لا أرى الموت إلا السعادة والحياة مع الظالمين إلا برمًا))<sup>(١)</sup> ، وهو القائل أيضًا : ((لا والله لأنعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد))<sup>(٢)</sup> ، ومن كلماته ايضاً (( فمن قبلي يقول الحق فالله أولى بالحق ، ومن ردّ على هذا ، أصبر حتى يقضى الله بيني وبين القوم الظالمين))<sup>(٣)</sup> .

### مُشاعر الغضب والحب

من أحد الأركان المهمة في الأدب هي العاطفة ، التي تفيض منها المشاعر والأحساس بالولاء والشوق والحب والإستسلام للذوي المقامات الدينية أصحاب الفكر الإسلامي النابع من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ألا وهم الأئمة الظاهرون ، وما هذه المشاعر الطيبة إلا وتتبع من مصدر التوقي لفروع الدين الذي أقه الشيشع طبقاً للقرآن و السنة النبوية ، ومن جانب آخر تبرز مشاعر الغضب بصورة إنزال الحريم على رؤوس الشياطين وأعداء الدين الذين جعلوا القرآن عضين ، وما تأتي هذه العقيدة إلا من التبرير لأعداء الدين وهي التي تمثل ركناً من أركان فروع الدين عند

-١- مع الحسين في خطبته - الشهريان ص ٢٨٣ .

-٢- أيضاً ، ص ٢١١ .

-٣- أيضاً ، ص ٢٧٥ .

فبناءً على ما تقدم ، ليس للشاعر دليل الخزاعي إلا وإن يصب حميم غضبه على أعداء الدين ، طالباً بذلك من الله الجليل الثواب الجزيل كما يقول :

أحبابي ما عاشروا وأهل ثقتي  
على كل حال ، خيرة الخيرات  
أهجر فيكم أسرتي وبناتي<sup>(١)</sup>  
فمن خلال ما تقدم أظن أننا أدركنا الموضوع جيداً ، حيث أن قول الحق والأمر بالمعروف  
و... والتبرير والتسلية ، وبالتالي إصلاح المجتمع الإسلامي وإرشاد الأمة ، وهتك أستار  
الطواحيت وفضحهم ، ومحارتهم ، ما هي إلا من صميم واجبات المسلمين . وهذا دليل ما قام  
إلا بواجهه الشرعي من جهاد ومقاومة ومن ذم وهجو ملوكبني عباس وأقطابهم ، مؤدياً واجبه  
الشعري إتجاه الله جل جلاله ، والرسول(ص) والأئمة الطاهرين (ع).

### موقف الكتاب من دليل

إن الذين كتبوا في تاريخ الأدب أو وضعوا تراجم للرجال أئمّهم لم يقفوا على الذي قدمناه تواً ، وأئمّهم أسوأوا الظن في تعبيرهم إلى دليل وأمثاله ، (وما يَبْيَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْلَمُ من الحق شيئاً) (يونس/٣٦) ، وأضف إلى ذلك أنني لما طالعت الكتب والمصادر التي تطرقـت إلى دليل وإلى حياته الجهادية - السياسية ، وجدتها تقسم إلى قسمين : ١ - المؤلفين غير الشيعة ، ٢ - المؤلفين غير الإسلاميين ، فبالنسبة إلى الطائفة الثانية ، فموقعهم واضح ، ومن المعروف علمياً أنه لا يحق لهؤلاء أن يبدوا وجهة نظرهم إتجاه دليل مهما بالغوا بالحيداد ، وذلك لأنّهم لم يدركوا الإسلام وموافقه وخاصة الشيعة ، ومع الأسف الشديد نرى المستشرق الألماني بروكلمان ( مع إحترامي له ) في كتابه تاريخ الأدب العربي يقول : ( حقاً لقيت نفته السوقية ( يقصد دليلاً ) في الهجاء ذيوعاً ونجاحاً موقوتاً ولكنها فضحت ذكره وأحملت شعره عند المتأخرین )<sup>(٢)</sup> ، أظنّ يا

- المجاني الحديثة - الألب لويس شيخوخ ج ٣ : ٦٩٠ .

- تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ، ج ٢ : ٣٩ .

بروكلمان لقد أصبت الحق ؟ وهلا سألت نفسك يوماً لماذا أخل المتأخرن شعر دعبيل ؟  
نعم لقد سار بروكلمان كما سار الآخرون من قبله على انتهاج عدم الدقة ، لا على نهج التحقيق ، ومن أمثال هؤلاء حنا الفاخوري الذي يقول عن دعبيل في كتابه تاريخ الأدب العربي : (( وقد تناول بمحجوه هارون الرشيد ، والمؤمن والمعتصم وإبراهيم بن المهدى ))<sup>(١)</sup> ، فلماذا هذا الدفاع عن هؤلاء الظلمة ؟ ألم تعلم أن هذه ستتنا نحن الشيعة أن نقف مجاهدين ضد الظلمة ، سنة مضت من قبل وجاربة لدى الحاضرين وماضية في المستقبل ؟

في اسفاه على ما نراه ونسمعه من هؤلاء القوم ، والخلاصة أن هؤلاء الكتاب لعبوا دوراً مهماً في قلب الأحداث التاريخية والأدبية والإسلامية ، وسوّدوا صفحات التاريخ بأقلامهم ، وأثّمّ غير منصفين في حق الشاعر أبداً .

### دعبيل ونافيده

وأما بالنسبة إلى الطائفة الأولى من المؤلفين الذين يدعون الإسلام ، فإنهم لمن أعداء آل البيت(ع) ، ومن الحاقدين على دعبيل كما قال فيهم :

وما الناسُ الأحسَدُ ومكذب  
ونراه يقول مخاطباً إياهم في البيت التالي :

أحبّي ما عاشوا وأهل ثقائي  
لاملك في آل النبيِّ فإنهم  
وأكثر الظن أنّ هؤلاء لم يفهموا الدين الإسلاميّ كما هو ، بل يحוט الدين على أستتهم ما  
درت معايشهم ، فأينما وجدوا المال والمعاش فالدين هو الإسلام ، ولو كان الأمير يزيد ، ألم يلقبوه  
بأمير المؤمنين ؟ وهو ألدّ أعداء الدين المبين ، وكذا القول فيما قاله صاحب العمدة الذي يقول :  
((وكان هجاءً للملوك ( يعني دعلاً ) ، جسراً على أمير المؤمنين ، متحاماً ، لا يبالي ما صنع ،  
حتى عرف بذلك وطار إسمه فيه ))<sup>(٢)</sup> ، فأعلم يابن رشيق ، إنّ الهجاء جهادنا ، وبه نكتسب  
الحسنات وبه نقترب إلى الله ، وإلى هذا المعنى يشير دعبيل قائلاً :

١- تاريخ الأدب العربي - حنا الفاخوري ص ٥٠٠ .

٢- العمدة - ابن رشيق ج ١ : ٧٢ .

فيما ربّ زدني من يقيني بصيرةً  
أحبّ قصى الرحم من أجل حبكم  
وأهجر فيكم أسرني وبناتي  
وهو القائل : (( أنا أحمل خشبي على كثفي منذ أربعين سنة ، لست أجد أحداً يصلبني  
عليها ، جهاداً في سبيله )) . (١)

### الديوان والممجاء

وأمّا بالنسبة إلى الممجاء الذي جاء في ديوانه ، فإنّه من خلال مطالعتي للكتب والمصادر العديدة التي ترجمت لشاعرنا المظلوم ، وجدتها وللأسف الشديد يصفونه بالمجاء ، فأثارت الحمية في نفسي حتى أدقق في الموضوع أكثر ، فمن بعد التدبر والتأمل والتفكير ، خطر بالي أن أحصي عدد أبيات الممجاء وأقارنها مع أغراضه الشعرية الأخرى فتوصلت إلى النتائج التالية :

أولاً : بلغت جميع أبيات شعر دعمل في ديوانه الذي صحّحه الدكتور الأشتر ( ١٥٥١ ) ألفاً وخمس مائة وواحداً وخمسين بيتاً ، ويعتقد الأشتر أنّ ما هو صحيح من هذه الأبيات هو ( تسع مائة وعشرون بيتاً فقط ) ، وقسم الأبيات الأخرى إلى أقسام ثلاثة ، الأول : الأشعار المنسوبة ، الثاني : الأشعار المتحولة ، الثالث : الأشعار المختلفة ، هذا حسب ما جاء في مقدمة الديوان ، ونحن نعتقد كما يعتقد هذا الحقيق بأنّ جموع أبياته تبلغ ( ٩٢٠ ) بيتاً ، فإن ربع هذه الأبيات تقريباً يعني ( ٢٤٤ ) بيتاً تتحتوي على الممجاء فقط ، فهل يجوز لنا أن نطلق على هذا الشاعر المظلوم لقب الممجاء ؟ إلى الله المشتكى ، هذا ومن جانب آخر إذا رجعنا إلى رأي الدكتور الأشتر الذي يعتقد أن في ديوان دعمل الحالي توجد أشعار مختلفة وأخرى منتحلة ومنسوبة على لسان الشاعر وهو بريء منها ، حيث نسبت إليه على لسان المغرضين ، فإنّها تدل على وجود أيدادي أئمّة تعمل على تشويه سمعة الشاعر الشهيد .

ثانياً : ما الممجاء إلاّ سنة الشعراء ، ومن يقرأ دواوينهم سيقف على ذلك بصورة جيدة . وما ترى من شاعر إلاّ وسلك هذا المسلك ، فهل يلزم شاعر لهجائه ؟ فلماذا انكم شاعرنا بأنه هجاء ؟ والجواب أوضح من الشمس في رابعة النهار ، أن الأيدي악 الآتية لعبت دوراً كبيراً لتشويه

سعة دعبدل الذي يقول الحق .

ثالثاً : ونأسف كثيراً للصوفي الذي بذل مهجنته في تدوين شعر دعبدل وعمل له في ذلك ديواناً يحتوي على ( ١٠،٠٠٠ ) عشرة آلاف بيتاً كما صرحت بها الكتب الأدبية والتاريخية ، ولكن سرعان ما انذاب هذا الديوان كما يذاب الملح في الماء ، وضاعت جهوده ، ولم يبق منه سوى الاسم في طيات الكتب فقط ، فإن كان الديوان موجوداً كان حكمنا على دعبدل أقرب إلى الواقع .

رابعاً : أفلم يتدارس النقادون ديوانه الحالي ؟ وينظروا في الأغراض الشعرية الأخرى للشاعر كال مدح والرثاء والوصف والغزل وما شابه ذلك ، ثم يقولون مقالتهم ، فإنهما لاتعمي الأبصار ولكن تعتمي القلوب التي في الصدور ، وما جاء من المدح على لسان دعبدل قوله :

اذا وترعوا متوا إلى أهل وترهم  
أكفاً عن الأوتار منقضياتِ  
وله أيضاً في آل البيت:

هم آل ميراث النبي اذا اتتموا  
مطاعيم في الأعساري في كل مشهدٍ  
إذا لم نسأج الله في صلواتنا  
ائمة عدلٍ يقتدى بفعاليهم  
وله أيضاً مدحُ أمير المؤمنين علياً(ع) :

سقِيَّاً لبيعةٍ أحمَدٍ ووصيَّهِ  
أعني الذي نصر النبي محمدًا(ص)  
أعني الذي كشفَ الكروبَ ولم يكن  
أعني الموحدَ قبلَ كلَّ موحدٍ  
وله في الرثاء :

لم يبقَ حيٌّ من الأحياء نعلمُهُ  
إلاَّ وهم شركاءٌ في دمائهم  
قتلاً وأسراً وتخيوفاً ومنهبةً

وهم خيرُ ساداتٍ وخيرُ حمَاءٍ  
لقد شرفوا بالفضلِ والبركاتِ  
بذكرهم لم تُقبلَ الصلوات  
وتؤمنُ منهم زلةُ العثراتِ

أعني الإمام ولينا المحسوداً  
قبلَ البريَّة ناشئًا ووليدًا  
في الحربِ عند لقائه رعديدًا  
لا عابداً وثنًا ولا جلمودًا

من ذي إمَانٍ ولا بكر ولا مضرٍ  
كما تُشاركُ أيساًز على جزرٍ  
 فعلَ الغرزة بأرضِ الروم والخزيرٍ (١)

## سهام هجو دعمل

الذي يطالع أشعار دعمل الهجائية الموجودة في ديوانه الحالي والتي تبلغ عدًّا أبياته (٤٤) بينما ، فيسقف على الموضوعات التالية :

### أولاً : هجو الطغاة

جاء في الخبر أن أفضل المجاهد كلمة حق عند سلطانٍ جائر ، فبدأ دعمل هجو طواغيت زمانه من ملوك بني العباس الذين هم أسوأ حالاً من بني أمية ، كما يشير إلى هذا المعنى في بيته المشهور هذا :

ولا أرى لبني العباسِ من عذرٍ

أرى أميَّةً معذورينَ أن قتلُوا

وأنه هجا هارون العباسي بقوله :

وقيرُ شرِّهم هذا من العبر  
على الزكيِّ بقربِ الرجسِ من ضررِ  
له يداه فخذْ ما شئتْ أو فذرِ (١)

قيرانٌ في طوس خيرُ الخلقِ كلهِ  
ما ينفعُ الرجلُ من قربِ الزكيِ وما  
هيئاتِ كلِّ امرئٍ رهنٌ بما كسبَ  
وله في الطاغية المعتصم العباسي :

ولم تأتنا عن ثامنِ لهم كتبُ  
خيَّارٍ اذا عدُوا وثامنُهم كلبٌ  
لأتكَ ذو ذنبٍ وليس له ذنبٌ

ملوكُ بني العباس في الكتبِ سبعة  
كذلك أهلُ الكهفِ في الكهفِ سبعة  
ولئن لاعلى كلِّ بهم فيكَ رفعَةً  
ثانياً : هجو عناصر الطغاة

هجا عناصر الحرب الحاكم العباسي الظالم أمثال إبراهيم بن المهدى أخي هارون ، وبمحى ابن الأكتم القاضى الظالم ، وأحمد بن أبي داود الذى ولـى القضاء للمعتصم والواشق ، والطاهر بن الحسين وهو من أحد قواد المؤمنون ، والعباس بن جعفر الأشعث ولـى خراسان من قبل هارون والمؤمنون ، وبـين وهـبـ الـذـينـ هـمـ مـنـ أـصـلـ نـصـارـىـ ، وـكـانـواـ كـتـابـاـ لـلـظـالـمـينـ فـيـ الـعـصـرـينـ الـأـمـوـيـ والـعـبـاسـيـ ، وإسماعيلـ بنـ جـعـفـرـ أـحـدـ أـمـرـاءـ الـعـبـاسـيـنـ وـوـاـليـ الـبـصـرـةـ أـيـامـ الـمـأـمـونـ ، وـالـحـسـنـ بـنـ وهـبـ

الذي ولـي البريد في الشام اواخر حـيـاة المـتوـكـل ، وصالـح بن عـطـيـة الـذـي كان من الـكتـاب وـوالـي مـصـر زـمـن الـمـأـمـون ، وـعلـيـ بن عـيسـى من رـجـال الـعـصـر ، وجـابـي مدـيـنة قـمـ للـمـأـمـون ، ومـالـكـ بن طـوقـ الـذـي أـسـتـشـهـد دـعـبـلـ عـلـىـ يـدـهـ ، وـكـلـ هـؤـلـاءـ هـمـ منـ أـصـحـابـ الـظـلـمـهـ وـأـعـوـانـ الـأـثـمـهـ .

### ثالثاً : صدق الكلام

كان دـعـبـلـ صـادـقـ الـهـجوـ ، فـإـذـ أـرـادـ أـنـ يـهـجوـ أـحـدـاـ ، أـوـ يـذـمـهـ ، فـكـانـ يـصـفـهـ بـماـ فـيـهـ مـنـ دونـ مـبـالـغـةـ فـمـثـلـاـ كـانـ يـذـمـ الرـجـلـ الـفـارـزـ مـنـ الـحـرـبـ ، أـوـ يـصـفـ آخـرـاـ بـالـبـخلـ ، أـوـ يـذـمـ الـلـحـاجـةـ فـيـ الرـجـالـ ، وـكـانـ يـرـدـ عـلـىـ هـجـاءـ الـشـعـرـاءـ ، أـوـ يـنـقـدـ الـفـاسـقـينـ أـوـ كـانـ يـقـولـ إـنـ بـنـيـ تـغلـبـ كـانـواـ قـلـيلـيـ الـهـمـةـ ، وـلـمـ يـأـخـذـوـ بـالـثـأـرـ أـوـ الـدـيـةـ مـنـ الـقـتـلـةـ ، وـكـذـلـكـ كـانـ يـذـمـ أـهـلـ الـشـهـوـاتـ ، أـوـ أـتـهـ وـصـفـ رـجـلـاـ بـعـدـ حـسـنـ الـجـوارـ ، وـمـاـ شـابـهـ ذـلـكـ مـنـ الـمـوـضـعـاتـ ، وـمـاـ كـانـ قـوـلـ دـعـبـلـ إـلـاـ الـحـقـ ، وـإـنـ الـحـقـ مـرـ ، وـإـنـ لـأـسـئـلـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـالـإـنـصـافـ ، هـلـ يـعـدـ هـذـاـ الشـاهـيـدـ هـجـاءـاـ؟ـ بـعـدـ مـاـ اـطـلـعـنـاـ عـلـىـ مـوـضـعـاتـ هـجـائـهـ .

### نـجـهـ فـيـ الـهـجـاءـ

مـمـاـ لـاـ شـكـ فـيـهـ أـنـ الشـيـعـةـ قـمـسـكـتـ بـالـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ، وـآلـ الـبـيـتـ (عـ)ـ عـامـلـيـنـ بـماـ قـالـهـ الرـسـولـ الـأـعـظـمـ(صـ)ـ :ـ إـنـيـ تـارـكـ فـيـكـمـ الـقـلـلـيـنـ .ـ .ـ .ـ ،ـ فـمـنـهـجـ كـلـ شـيـعـيـ فـيـ الـحـيـاةـ أـوـ بـالـأـحـرـيـ كـلـ مـسـلـمـ ،ـ هـوـ السـيـرـ وـفـقـاـ لـمـاـ رـسـمـهـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـالـسـنـةـ الـمـحـمـدـيـةـ ،ـ وـالـمـنـهـجـ الـطـاهـرـ لـآلـ الـبـيـتـ (عـ)ـ ،ـ فـلـاـ يـحـيـدـونـ عـنـ ذـلـكـ قـيـدـ شـعـرـةـ ،ـ وـلـاـ يـخـافـونـ فـيـ اللـهـ لـوـمـةـ لـائـمـ ،ـ فـيـ تـطـيـقـ الـشـرـعـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـمـقـدـسـةـ ،ـ وـبـمـاـ أـنـ دـعـبـلـ تـرـعـرـعـ وـتـرـقـيـ فـيـ ظـلـالـ الـقـرـآنـ الـجـبـيدـ وـاغـتـرـفـ مـنـ معـنـيـ الرـسـولـ(صـ)ـ وـآلـ الـطـاهـرـيـنـ (عـ)ـ ،ـ وـسـارـ مـجـاهـدـاـ فـيـ سـبـيلـ هـذـاـ الـمـنـهـجـ الـقـوـيـ ،ـ مـتـحـذـلـاـ مـنـ الـقـرـآنـ الـعـظـيمـ أـسـوـةـ فـيـ ذـمـ وـهـجـوـ الرـجـالـ الـظـالـمـيـنـ ،ـ كـمـاـ ذـمـ رـبـ الـعـزـةـ الـعـظـيمـ أـبـالـهـبـ وـأـبـاسـفـيـانـ وـفـرـعـونـ وـغـرـوـدـ وـأـصـحـابـ نـوحـ وـلـوـطـ وـبـنـيـ إـسـرـائـيلـ وـغـيرـهـ مـنـ الـمـنـحـرـفـيـنـ .ـ

وـكـذـلـكـ اـقـتـدـىـ بـمـوـلـاهـ أـمـيرـالـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ(عـ)ـ ،ـ كـمـاـ جـاءـ بـعـضـ كـلامـهـ فـيـ نـجـحـ الـبـلـاغـةـ ،ـ حـيـثـ كـتـبـ إـلـىـ عـمـرـ بـنـ الـعـاصـ فـائـلـاـ :ـ ((ـ إـنـكـ قـدـ جـعـلـتـ دـيـنـكـ تـبعـاـ لـدـنـيـاـ اـمـرـيـ ظـاهـرـ غـيـهـ ،ـ مـهـتـوـكـ سـرـةـ ،ـ يـشـيـنـ الـكـرـيمـ عـجـلـسـهـ ،ـ يـسـفـهـ الـحـلـيمـ بـخـضـرـتـهـ ،ـ فـاتـبـعـتـ أـثـرـهـ ،ـ وـطـلـبـتـ

فضله ، اتباع الكلب للضرغام ، يلوذ بمخالبه ، وينتظر ما يُلقى إليه من فضل فريسته ، فاذهبت ذُنياك وآخرتك ))<sup>(١)</sup> ، فكان الدّم لمعاوية والمحجو لعمرو بن العاص ، حيث صورها الإمام علي (ع) بابشع الصور الوحشية ولكن لم نر أحداً من القتاد يتجرأ أن يصف الإمام علياً(ع) أئمه كان هجاء ، وزراه (ع) انه كتب إلى زياد ابن إبيه واصفاً معاوية بالشيطان ، حيث يقول : (( وقد عرفت أن معاوية كتب إليك يستنزل لك ويستغل غريبك فاحذر ، فإنما هو الشيطان ))<sup>(٢)</sup> ، وجاء في كتاب له(ع) إلى المنذر بن الجارود العبدي : (( ولئن ما بلغني عنك حقاً ، لحمل أهلك وسقّع نعلك خيراً منك ))<sup>(٣)</sup> ، فإننا نجد من هذه النماذج في نهج البلاغة بكثرة ، وما قام به دقبل الآ سيراً على خطى الإمام علي(ع) . وما بعد الحق إلا الضلال المبين . أضف إلى ذلك ، إن هجاء دقبل ما كان يمثل إلا روح البراءة من أعداء الله وأعداء الإسلام كما نقرأ ذلك في قوله :

أحب قصي الرحمن من أجل حبكم  
وأكتم حبكم مخافة كاشح  
لقد حفت الأيام حولي بشّرها  
وأهجر فيكم أسرني وبنيتي  
عنيد لأهل الحق غير موات  
ولائي لأرجو الأمان بعد وفاتي<sup>(٤)</sup>

**النويري والممجاء**  
ذكر النويري بحثاً للهجاء في موسوعته نهاية الأرب ، فرغبت ان نقف على رأيه بإختصار ، لما فيه من الفوائد لأولى الأ بصار .

يقول النويري : (( ويستحق الممجاء من اتصف بسوء الخصال ، واتسم بأخلاق الأراذل والأذال ، يجعل اللوم جلابه وشعاره ، والبخل وطاءه ودثاره ))<sup>(٥)</sup>.  
ألا يستحق العباسيون الممجاء المرّ ، لما اتصفوا بالبخل والذلة والظلم و . . .

١- نهج البلاغة - صبحي الصالح ، ص ٤١١ .

٢- أيضاً ، ص ٤١٥ .

٣- أيضاً ، ص ٤٦٢ .

٤- الماجني الحديقة - الأب لويس شيخو ، ٣ : ٦٩ .

٥- نهاية الأدب - النويري ، ج ٣ : ٢٦٧ .

ويذكر التويري : ((قيل قول جرير هو أهجمي بيت قاله العرب :

فغضن الطرف ائك من نمير  
فلا كعباً بلغت ولا كلاباً  
ولو وضعت فquam بني نمير  
على خبث الحديد اذا لذاباً)) (١)  
فلماذا لم يكن جريراً من الهجائن بما أنه يملك أهجمي بيت عند العرب ؟ وكذا القول بالنسبة  
إلى الأعشى والحيطنة الذي يقول :

دع المكارم لاترحل لبغيتها  
واعد فائقك أنت الطاعم الكاسي (٢)  
ويذكر التويري أنواعاً من الهجاء المتر اللاذع ، ولكنه لم يصدر حكم (الهجاء) على شاعر ،  
وأختم كلامي هنا بما ذكره التويري نقاً عن حسان في أبي سفيان :  
أبوك أب حز وأمك حرة  
فقد يلد الحزان غير فحيب  
فلا تعجب الناس منك ومنها  
فما خبث من فضة بعجيب (٣)  
فمن أراد المزيد عليه بمراجعة نهاية الأرب .

### الكلمة الأخيرة

لو كان في هجاء دعبدل شيء مستهجن ، للذمه الإمام الرضا(ع) خاصةً لأنّه كان معاصرًا  
له(ع) ، ولنصحه كما كانت النصائح سنة عند الأئمة الأطهار(ع) لأوليائهم .  
هذا وأنه لقد تحمل المجران والفرق والمصائب والشهادة لأجل الدفاع عن العقيدة ، فالسلام  
عليه يوم ولد ويوم أُستشهد ويوم يبعث حيًّا .

\*\*\*

١- أيضاً ج ٣ : ٢٧١ .

٢- أيضاً ج ٣ : ٢٧٥ .

٣- أيضاً ج ٣ : ٢٨٤ .

## الدرس الرابع

### موازنة نقدية بين قصيدتي عيد الأضحى والحدث الحمراء

#### المتنبي في سطور

(( هو أحد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي ، ولد في الكوفة سنة ثلاثة وثلاثمائة في محلة تسمى كندة ، فنسب إليها .

التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وذهب إلى مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، ومدح كافور الأخشidi ، وكذلك مدح ابن العميد . قتل هو وابنه وغلامه بالقرب من النعmani سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

كان المتنبي من الشخصيات الغربية ، وكان عظيماً ، وكان عبقرياً ، وكانت حياته زاخرة بكل ما يجلب الحب والإشراق والإجلال ))<sup>(١)</sup> .

#### أدب المتنبي

لأدبه مستوى رفيع في الشعر وله مقام عظيم لدى النقاد ، فاز بالمناصب عند الأمراء ، اختلف فيه العلماء وتشاجرت فيه الآراء ، فمنهم من وقف جنباً إلى جنبه كابن جني ومنهم من عاداه أمثال ابن وكيع والعميدي ، وابن فوژحة وغيرهم ، وعلى أي حال الآن نظر إلى بعض الآراء فيه :-

- قال العباس بن علي بن نور الدين العاملمي في كتاب نزهة الجليس ومنية الأديب الأنبي :

---

<sup>(١)</sup> - شرح ديوان المتنبي - عبدالرحمن البرقوقي ، ج ١ : ٦-٣ ، بصرف .

((المتنبي)) فاضل طاب به الأدب طيب النوار بالريبع ، ونظم الحكم والغزل الذين يبراً بهما الصريح ، زاحم سنان رمح قريضه السمك الرامع ، فكان لسيف الدولة سعد السعواد ولأعدائه سعد النابع ، فهو رب الحكم والأمثال والبديع والبيان ، وبني الأدب الذي ما اختلف فيه اثنان ، فائي ان زدت الأطناب في مدحه ، وأتعبت طيرشائي بصدحه ، فكأي كمن قال للمسك ما أعطرك ، وللروض المزهر ما أزهرك وأنضرك ، وللبدر ما أهلك ، وللشهد ما أحلاك وأشهاك))<sup>(١)</sup> .

٢- قال الدكتور البستاني : ((بعد المتنبي رائدًا للشعر العربي في مختلف عصوره حتى ليكاد يفرد في ضخامة النتاج الذي صدر عنه))<sup>(٢)</sup> .

٣- يقول الدكتور عمر فروخ : ((فقد أفض فيه الققاد وأجعوا على أنه في المقام الأول بين جميع الشعراء وفوقهم))<sup>(٣)</sup> .

٤- قال الألب لويس شيخو عن شعره : ((و قد نال هذا الشعر (للمتنبي) من اهتمام أدباء العرب والمستشرقين وعانياه ما لم ينله شاعر شاعر غيره))<sup>(٤)</sup> .

٥- الكلام في هذا المقام كثير ، وختتم القول بما قاله ابن الأثير : ((أوانا أقول قولاً لست فيه متأثراً ولا منه متلثما ، وذلك أنه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصافها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلامين قد تواصلا فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بعدر تاركه ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أدى اليه عيانه ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ، ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الأطراء))<sup>(٥)</sup> .

١- تأسيس الشيعة - سيد حسن الصدر ، ص ٢١٩ .

٢- تاريخ الأدب العربي - الدكتور محمود البستاني ، ص ٦١٦ .

٣- تاريخ الأدب العربي - الدكتور عمر فروخ ، ج ٢ : ٤٦٥ .

٤- الجانبي الحديثة - الألب لويس شيخو ، ج ٣ : ٢٣١ - بادارة فؤاد فارابي البستاني .

٥- شرح ديوان المتنبي - عبدالرحمن البروقوني ، ج ١ : ١٣ .

## م الموضوعات فـته الشعري

لقد تطرق المتنبي فنون شعرية كثيرة مطروحة في ديوانه ، مشرورة من قبل العلماء والنقاد ، والذي يهمّنا أن نشير إليه في هذا البحث هي الحكمة وسوح القتال .

(الف) الحكمة : ونقصد من وراء ذلك تجاذب المتنبي في الحياة ، واكتساب المعارف من خلال المطالعة ، فله خبرة بأخلاق الناس ، والحياة بصورة عامة ، وهو لا يشك في آرائه وافكاره كما صنع المعرى ، ويُعدُّ في هذا الباب من المؤسسين للحكمة والأمثال ، حيث اشتهرت بعض أبياته بين الأدباء والكتاب ، وسارت على ألسن الفصحاء من العلماء ، فمن أراد المزيد فعليه بكتاب تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ج ٢ : ٤٧٦ .

ثم إن الحكمة في شعره جاءت اماً بلغة مباشرة أو بلغة مصورة (من تشبيه واستعارة...) ، ونحاول قدر الامكان ان نشير اليهما خلال البحث هذا .

(باء) سوح القتال : المتنبي صادق العاطفة في وصفه للمعارك التي خاضها سيف الدولة مع الروم خاصة ، فهو يصور أهواز المعارك وسوح القتال بقوة تامة وتمثيل رصين ويصور لك مشاهد اقتدار العدو الرومي بما يملكه من قوة وعدد ومع ذلك يرجع القهقري ، ويلوذ بالفرار أمام سيف الدولة الشجاع .

وما هذه القدرة في البيان لدى الشاعر إلا لأنَّه فارس شجاع فتكاً ، عالم بامور القتال خائض في الحروب مع سيف الدولة بلا خوف ولا جزع ، وأبلَّ فيها بلاً حسناً .

وقصائدِ الحرية تُعدُّ من أروع القصائد في الأدب ، لأنَّه كان متذكراً منها حيث رأى المشاهد الحرية عن كثب ، لا كمن تُوصف له ، وجاء توصافه دقيقة كاملة ، وصور المناطق الحرية باحسن صورة وأبدع فيها ، وأشار إلى جميع هذه المواطن عن طريق مدح صادق خالص لفارس الإسلام سيف الدولة المقدم ، واحتوى ديوانه على الثالث منه وسنشير إليها عن كثب في تحليلنا النقطي هذا .

تاريجياً

بما ان سيف الدولة كان السُّلْطَنُ المنيني للعالم الإسلامي أمّا الهجوم المسيحي من قبل الروم ، وأنَّه

أسدى خدمات اجتماعيةً وسياسيةً ملقطة للنظر آنذاك للمسلمين والدين الحنيف ، وكانت شجاعته بادية لكل عدوٍ وصديق ، فجاءت الآيات الجهادية مادحة له من قبل شاعر عظيم ظلّ موالياً لسيف الدولة ولِي نعمته ، ومدحه باكثر قصائده وتقرّب اليه وشاركه في المعارك التي خاضها مع الروم ، ((و خاصةً الحرب التي دارت في الحدث الحمراء التي عزم سيف الدولة بنائها ، ولكن الدمستق نازله في نحو خميس ألف فارس وراجل ، وبدأ القتال يوم الإثنين آخر جمادى الثانية ، سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، من أول النهار الى العصر ، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو ٥٠٠ من غلمانه ، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسرّ خلقاً كثراً))<sup>(١)</sup> . وسُنّى خلال البحث في نقد هذه القصيدة اسماءً للروميين أمثال الدمستق وابنه وصهره ، وأرض جيحان وأمد .

## الموازنة

عادة تكون بين شاعرين أو أكثر كالفردق والجرير والأخطل ، وتكون فيها اتفاق بينهم في الأغراض والأساليب والخيال . . . . ، أو تكون بين قصيدتين في معنى واحد ، كما سنواجه المتنى هنا وكما يقول البدوي :أولاً:- اعلم ان التفضيل بين المعينين المتفقين أيسر خطباً من التفضيل بين المعينين المختلفين . ثانيا :- اهم-النقد-يجمعون على ان الموازنة تتم اذا احمد المعنى بين النصيين ويختلفون في جواز الموازنة اذا اختلف المعنى ، فعلى هذا المنوال نسير في هذا الدرس.

القصيدة تان

**الأولى:** ((قال مدح سيف الدولة وبهنته بعيد الأضحى سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة ، أنشدها في مណاهه بخلع وهما على فرسهما :

- |  |  |
|--|--|
| <p>وعادات سيف الدولة الطعن في العدا<br/>وئسي بما تناوله أعاديه أسعده<br/>وهاد إليه الجيش أهدى وما هدى<br/>رأي سيفه في كفته فتشهدنا</p> | <p>١- لكل امرئ من دهره ما تعودا<br/>٢- وأن يكذب الإرجاف عنه بضدء<br/>٣- ورب مرشد ضرّة ضرّ نفسيه<br/>٤- ومستكير لم يعرف الله ساعة</p> |
|--|--|

على الدّرِّ واحدَةٌ إذا كانَ مُزبدا  
وَهذا الذي يأْتى الفَتى مُتعَدَا  
مُفارقاً هَلْكَى وَتلقَاهُ سُجَّداً  
وَيَقْتُلُ ما يُحِبِّي التَّبَسَّمَ وَالجَدَّا  
يَرِى قَلْبَهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَّا  
فَلَوْكَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ ماءً لَأَورَدَّا  
مَاتَّاً وَسَمَّاًهُ الدَّمْسُتُقْ مَوْلَداً  
ثَلَاثَ لَقْدُ أَدَنَاكَ رَكْضُ وَأَبْعَدَا  
جَمِيعاً وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيَحْمَدَا  
وَأَبْصَرَ سَيفَ اللَّهِ مِنْكَ مُجْرَدَا  
وَلَكَنْ قَسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ الْفِدَا  
وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدَّلَاصَ الْمَسْرَدا  
وَمَا كَانَ يَرْضِي مَشِي أَشْفَرَ أَجْرَدا  
جَرِحَاً وَخَلَى جَفَنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدا  
تَرَبَّتِ إِلَامَلَاكَ مَثْنَى وَمَوْحَداً  
يَعْدُلُهُ ثَوْبَاً مِنَ الشَّعْرِ أَسْوَداً  
وَعِيدُّ مِنْ سَمَّى وَضَحَى وَعَيَّداً  
تُسْلِمُ مُخْرَقَاً وَتُعْطِي نُجَّدَا  
كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدَّا كَانَ أَوْحَداً  
وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّداً  
أَمَا يَتَوَقَّى شَفَرَتِي مَا تَقْلَدا  
تَصْيِيدَهُ الضَّرَاغَمُ فِيمَا تَصْيَيدَا  
وَلَوْ شَئْتَ كَانَ الْحَلْمُ مِنْكَ الْمَهْنَدا  
وَمِنْ لَكَ بِالْحَرَّ الذِّي يَحْفَظُ الْيَدَا  
وَإِنْ أَنْتَ اكْرَمْتَ اللَّهَيْمَ تَمَرَّداً  
مُضَرِّبُوْسِعِ السَّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدِيِّ

- ٥ - هُوَ الْبَحْرُ عُصْنٌ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِنًا
- ٦ - فَإِلَيَّ رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَعْثُرُ بِالْفَقْتِ
- ٧ - تَظَلَّلُ مُلْوُكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ
- ٨ - وَتُحْيِي لَهُ الْمَالُ الصَّوَارُمُ وَالْقَنَا
- ٩ - ذَكَرَتِي تَظَاهِرُهُ طَلِيعَةً عَيْنِهِ
- ١٠ - وَصَوْلُ إِلَى الْمُسْتَصْبَعَاتِ بِخِيلِهِ
- ١١ - لَذِلِكَ سَمَّى ابْنُ الدَّمْسُتِيقِ يَوْمَهُ
- ١٢ - سَرِيَّتْ إِلَى جَيْحَانَ مِنْ أَرْضِ آمِدِ
- ١٣ - فَوْلَى وَأَعْطَاكَ أَبَةَ وَجِيْوَشَةَ
- ١٤ - عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ
- ١٥ - وَمَا طَلَبْتَ رُورُقَ الْأَسْنَةِ غَيْرَهُ
- ١٦ - فَأَصْبَحَ يَجْتَابَ الْمَسْوَحَ مَخَافَةً
- ١٧ - وَعِيشَى بِهِ الْعَكَازُ فِي الدِّيرِ تَائِبًا
- ١٨ - وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكُرْجَهَ
- ١٩ - فَلَوْ كَانَ يَتَجَيِّي مِنْ عَلَيِّ تَرْهُبِهِ
- ٢٠ - وَكُلُّ امْرَئٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَربِ بَعْدَهَا
- ٢١ - هَنِيَّاً لَكَ الْعَيْدُ الَّذِي أَنْتَ عِيْدُهُ
- ٢٢ - وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لَبِسَكَ بَعْدَهُ
- ٢٣ - فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلَكَ فِي الْوَرَى
- ٢٤ - هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنَ أَخْتَهَا
- ٢٥ - فِيَا عَجَباً مِنْ دَائِلِ أَنْتَ سِيقَهُ
- ٢٦ - وَمَنْ يَجْعَلُ الْضَّرَاغَمَ بَازًا لَصَيْدِهِ
- ٢٧ - رَأَيْتُكَ تَحْضُرَ الْحَلْمَ فِي مُحْضِ قُدْرَةِهِ
- ٢٨ - وَمَا قُتِلَ الْأَحْرَارُ كَالْفَغُوْ عَنْهُمْ
- ٢٩ - إِذَا أَنْتَ اكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مُلْكَكَهُ
- ٣٠ - وَوَضَعَ النَّدِيِّ فِي مَوْضِعِ السَّيفِ

و حِكْمَةً كَمَا فُقْتَهُمْ حَالًا وَنفْسًا وَمُحِبَّدًا  
فِيْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَا  
فَأَنْتَ الَّذِي صَرَّحُتُمْ لِي خَسِدا  
ضَرِبْتُ بِسَيفِيْ بِقَطْعِ الْهَامِ مُغْمَدًا  
فَزَيْنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسْدَدًا  
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الْدَّهْرُ مُنْشَدًا  
وَغَنِّيَ بِهِ مَنْ لَا يُغْنِي مُغْرِدًا  
بِشَعْرِيْ أَنَاكَ الْمَادِحُونَ مُرْدَدًا  
أَنَا الصَّائِحُ الْمُحْكَمُيْ وَالْآخِرُ الصَّدِيْ  
وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَكَ عَسْجَدًا  
وَمَنْ وَجَدَ إِلْهَسَانَ قِيلًا تَقَيَّدًا  
وَكُنْتَ عَلَى بُعْدِ جَعْلِنَكَ مَوْعِدًا)).<sup>(١)</sup>

اَمَا الثَّانِيَةُ فَهِيَ الْمَدحُ فِيهَا سَيفُ الدُّولَةِ وَيُذَكَّرُ بِنَاءَهُ الْحَدِيثُ الْحَمْرَاءُ :

وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ  
وَتَصْعُرُ فِي عَيْنِ الْعَظَمِيْمِ الْعَظَائِمُ  
وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجَيْوَشُ الْخَضَارَمُ  
وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيْهِ الضَّرَاغُمُ  
تُسْوِرُ الْمَلَأُ أَحَدَاهُنَا وَالْقَشَاعُمُ  
وَقَدْ حَلَقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ  
وَتَعْلَمُ أَئِيْ السَّاقِيْنِ الْغَمَائِمُ  
فَلَقَادَنَا مِنْهَا سَقْتَهَا الْجَمَاجُمُ  
وَمَوْجُ الْمَنَابِيَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ  
وَمَنْ جُثِثَ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ  
عَلَى الدِّينِ بِالْخَطْبِيِّ وَالْدَّهْرُ رَاغِمُ

- ٣١- وَلَكِنْ تَفْوُقُ النَّاسَ رَأِيًّا
- ٣٢- يَدْقُ على الأفكار ما أنت فاعلٌ
- ٣٣- أَرْلَ حَسَدَ الْحَسَادَ عَنِي بِكَبِّتَهُمْ
- ٣٤- إِذَا شَدَ زَنْدِي حَسْنُ رَأِيَكَ فِيهِمْ
- ٣٥- وَمَا أَنَا إِلَّا سَهْرَرِيْ حَلَّتَهُ
- ٣٦- وَمَا الْدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةَ قَلَائِدِي
- ٣٧- فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشَقَّمًا
- ٣٨- أَجْزَنِي إِذَا أَشَدْتُ شِعْرًا فَأَنَّا
- ٣٩- وَدَعْ كَلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِيْ فَأَنَّى
- ٤٠- تَرَكْتُ السُّرِّيَ خَلْفِيْ لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
- ٤١- وَقَيْدَتُ نَفْسِي فِي ذَرَكَ حَبَّةً
- ٤٢- إِذَا سَأَلَ إِلَّا نَسَانَ أَيَامَهُ الْغَنِيِّ

- ١- ((عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزَمِ تَأْيِيْدِ العَزَائِمِ
- ٢- وَتَعْظِيمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا
- ٣- يَكْلُفُ سَيفُ الدُّولَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ
- ٤- وَيَطْلُبُ عَنْدَ النَّاسِ مَا عَنْدَ نَفْسِهِ
- ٥- يُفَدِّي أَئِمَّةَ الطَّيْرِ عُمَراً سَلاَحِهِ
- ٦- وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مُخَالِبٍ
- ٧- هَلِ الْحَدِيثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرُفُ لَوْخَمَا
- ٨- سَقْتَهَا الْغَمَامُ الْغَرُّ قَبْلَ تُرْزُولِهِ
- ٩- بِنَاهَا فَاعِلَيَّ وَالْقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا
- ١٠- وَكَانَ بِهَا مَثْلُ الْجَنَوْنِ فَأَصْبَحَتْ
- ١١- طَرِيدَةً دَهْرَ سَاقِهَا فَرِدَّهَا

و هُنَّ لِمَا يَأْخُذُنَّ مِنْكَ غَواصُمْ  
مضى قبَلَ ان تُلقى عليه الجوازمْ  
و ذا الطعنُ آسائِنَ لَهَا و دعائِمْ  
فما ماتَ مظلومٌ ولا عاش ظالمٌ  
سرروا بجيادِ ما هُنَّ قوائِمْ  
ثيابِهِمْ مِنْ مِثْلِهَا و العمائِمْ  
و في أُدُنِ الجَزوَاءِ مِنْهُ زمازِمْ  
فما ثُفِّهُمْ الحَدَادَ إِلَّا الترَاجِمْ  
فلَمْ يَقِنْ إِلَّا صارُمْ أو ضُبَارُمْ  
و فَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مِنْ لَا يُصَادُمْ  
كَأْنَكَ في جَفَنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمْ  
و وجْهُكَ وضاحٌ وغَرُوكَ باسِمْ  
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمْ  
تموئِلُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمْ  
و صَارَ إِلَى الْلَّبَاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمْ  
و حَتَّى كَأَنَّ السِيفَ لِلرِّمَحِ شَامِمْ  
مَفَاعِنِهِمُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارُمْ  
كَمَا ثَرَثَ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّارَهُمْ  
و قد كُثِرَتْ حَوْلَ الْوَكُورِ الْمَطَاعُمْ  
بِأَتَاهَا وَهِيَ الْعَتَاقُ الصَّلَادُمْ  
كَمَا تَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقُمْ  
فَفَاهُ عَلَى الإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمْ  
و قَدْ عَرَفَتْ رِيحَ الْلَّبَوِيَّ الْبَهَائِمْ  
و بِالصَّهْرِ حَلَاثُ الْأَمْيَرِ الْغَوَاشِمُ  
بِمَا شَغَلَتْهَا هَامِهِمُ وَالْمَعَاصِمُ

- ١٢ - ثُفِيتَ اللِّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخْذَنَّهُ
- ١٣ - إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فَعَلَّا مَضَارِعًا
- ١٤ - وَكَيْفَ تُرْجِي الرُّومُ وَالرُّوسُ هَذِهِمَا
- ١٥ - وَقَدْ حَاكِمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمُ
- ١٦ - أَتُوكَ يَجِرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ
- ١٧ - إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ
- ١٨ - خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَربِ زَحْفَةٌ
- ١٩ - تَجْمَعَ فِيهِ كُلُّ لَسِنٍ وَأَمْمَةٌ
- ٢٠ - فَلَلَّهُ وَقَتْ ذَوْبِ الغَشَّ نَارُهُ
- ٢١ - تَقْطَعُ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرَعُ وَالْقَنَا
- ٢٢ - وَقَفَتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌ لِوَاقِفٍ
- ٢٣ - تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةٌ
- ٢٤ - تَحَاوَزَتْ مَقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهَى
- ٢٥ - ضَمَّمَتْ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً
- ٢٦ - بَصَرِبِ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبُ
- ٢٧ - حَقَرَتِ الرُّؤْيَيَاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا
- ٢٨ - وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَأَنَّمَا
- ٢٩ - نَشَرَتْهُمُ فَوْقَ الْأَحِيدَبِ كَلْمَهُ
- ٣٠ - تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلَ الْوَكُورَ عَلَى الذَّرِى
- ٣١ - تَظَنُّ فَرَاحَ الْفَتَنِيَّ أَنَّكَ رُزْحَمَا
- ٣٢ - إِذَا زَلَفَتْ مَشَّيَّتَهَا بِيَطْوَنَهَا
- ٣٣ - أَنِي كُلَّ يَوْمٍ ذَا الدَّمُسْتَقِ مُقْدَمُ
- ٣٤ - أَيْنِكُرُ رِيحَ الْلَّيَّثَ حَتَّى يَذْوَقَهُ
- ٣٥ - وَقَدْ فَجَعْتَهُ بِابْنِهِ وَابْنِ صَهْرِهِ
- ٣٦ - مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ

على أن أصوات السيف أعماجُ  
ولكَنْ مغنوًماً نجا منك غانمُ  
ولكَنَك التوحيدُ للشرك هازمُ  
وتفتخرُ الدنيا به لا العواصمُ  
فأنتَك معطيه وإلي ناظمُ  
فلا أنا مذموم ولا أنت نادمُ  
إذا وقعتُ في مسمعه الغمامُ  
ولا فيهِ مرتابٌ ولا منهِ عاصمُ  
وراجيك والإسلام آنك سالمٌ  
وتفيقُه هام العِدا بك دائمٌ).<sup>(١)</sup>

- ٣٧ - ويفهم صوت المشرفية فيهم
- ٣٨ - يُسرُّ بما أعطاك لا عن جهة
- ٣٩ - ولست مليكاً هازماً لنظيره
- ٤٠ - تشرف عدنان به لا ربيعة
- ٤١ - لك الحمد في الدر الذي لي لفظة
- ٤٢ - وإن لتعدو بي عطاياك في الوعي
- ٤٣ - على كل طيار إليها برجليه
- ٤٤ - ألا أيها السيف الذي ليس مغمدا
- ٤٥ - هبئاً لضرب المهام والحمد والعلى
- ٤٦ - ولم لا يقي الرحمن حديثك ما وقى

### توثيق النص :

لدينا قصیدتان الأولى دالية والتي مطلعها :

لكل امرئٍ من دهره ما تعودا  
و عادات سيف الدولة الطعن في العدا  
أنشدها لسيف الدولة بمناسبة حلول عيد الأضحى سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة ، ذكرها  
عبدالرحمن البرقوقي في شرحة ج ٢ : ٣ ، واحتوت على ٤٢ بيتاً ، وجعلناها الأصل في بحثنا  
هذا ، لأنّه يقول في ج ١ : ٩ ، (تبعدت جميع من تعرض بالشرح أو النقد كابن فورجة ،  
والعروضي ، وابن الأفيلي ، فوجدت لهم جميعاً بجانب حسناتهم سيات ، وإلى سدادهم زلات  
وهفوات ) . وكذلك ذكرها صاحب المجرى الحديثة ج ٣ : ٢٣٥ مقتبساً إياها من شرح  
العكري واليازجي وهي تحتوي على ٤١ بيتاً ، اذن فهما قاماً بمراجعة النسخ العديدة ، فاعتمدت  
عليهما ، وعسانى أصبحت الحقيقة .

و اتا الإختلاف في الرواية كما يلي :

١- جاء في البيت ( ١ ) عادات ، وذكره شيخو ( عادة ) ، والجمع أولى من المفرد لاته في

<sup>١</sup> - شرح ديوان المشي - عبد الرحمن البرقوقي ، ج ٤ : ١٠٨

مقام المدح .

- ٢ جاء في البيت (٨) يُحيي ، وذكره شيخو (تحيي) ، لافرق بينهما حيث يستوي المذكر والمؤنث في المصادر الموصوف بها .
- ٣ جاء في البيت (١٠) قرن بالرفع ، وذكره شيخو (قرن) بالنصب ، والظاهر فيه تحريف لأنّ قرن اسم كان .
- ٤ جاء في البيت (١٥) طلبت بالسكون ، وذكره شيخو بالفتح وهو تحريف لأنّ رُوق الأسنة مؤنث .
- ٥ جاء في البيت (١٨) (تاب) وذكره شيخو (ناب) أظنه خطأ مطبعياً ولربما تحريف .
- ٦ جاء في البيت (٢٠) (بعدها) ، وذكره شيخو (بعده) ، وكلاهما صحيحان على ما بينه البرقوقي .
- ٧ جاء في البيت (٢٤) (تفضل) بالنصب وذكره شيخو بالرفع ، احتمالان ، والفتح أولى .
- ٨ جاء في شرح البيت (٢٥) ، ((قال ابن القطاع : صحف هذا البيت فروي دائل بالدال المهملة - من الدولة ، ولا معنى للدولة فيه ، وال الصحيح بالذال المعجمة وهو الرجل المتقلد سيفه المتباخر في مشيه)).
- ٩ جاء في البيت (٢٥) (يتوقّى) ، وذكره شيخو يتّقى ، والأول أفضل لما فيه معنى التجنّب الذي هو أقرب إلى الأول دون الثاني .
- ١٠ جاء في البيت (٢٦) ، (بازاً لصيده) ، وذكره شيخو للصيد بازه ، فيه احتمالان ، ففي الأول تأكيد للبار وفي الثاني تأكيد للصيّد .
- ١١ جاء في البيت (٣٤) (فيهم) بالكسر ، وذكره شيخو بالرفع (فيهم) والثاني أولى كما جاء في البيت (٢٨) . وقال البرقوقي في ج ٢ : ١٣ ، وروي بدل فيهم : في يدي ، وبدل بسيف : بنصل .
- ١٢ جاء في البيت (٣٦) (قلائد) ، وذكره شيخو قصائد ، والأول أفضل لما فيه من

استعارة .

١٣ - حذف شيخو عجز البيت ( ٣٨ ) وذكر مكانه : ( أنا الطائر المحكى والآخر الصدى ) وفي كلمة الطائر نظر ، والرواية الأخرى تقول : الصائح فهو المناسب لمعنى المحكى .

١٤ - حذف شيخو البيت ( ٣٩ ) من القصيدة وهي :

أنا الصائح المحكى والآخر الصدى  
و دع كل صوتٍ غير صوتي فاتني  
و أراه بيت القصيدة لما فيه من معنى عظيم نشير اليه في التحليل .

والقصيدة الثانية الميمية والتي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم  
و تأتي على قدر الكرام المكارم  
يمدح فيها سيف الدولة ويدرك بناءه ثغراًحدث سنة ثلاثة وأربعين وثلاثمائة . ذكرها البرقوقي  
في شرحه ج ٣ : ٢٤ ، واحتوت على ٤٦ بيتاً حيث جعلناها الأصل في بحثنا هذا وذكرها صاحب  
الجاني الحديثة في ج ٣ : ٢٣٨ ، مقتبساً إياها من شرح العكاري واليازجي وهي تحتوي على  
٤٣ بيتاً .

واما الإختلاف في الرواية فهي كما يلي :-

١- جاء في البيت ( ٥ ) (نسور الملا) ، وذكر شيخو الفلا ، ولهما معنى واحد أي  
الصحراء .

٢- جاء في البيت ( ٩ ) (تقرع) ، وذكر شيخو (يقرع) ، والثاني أفضل لأنه اسم جنس  
جمعي قال تعالى : الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً (يس / ٨٠) ، فالأخضر صفة  
للشجر وهو مفرد مذكر ، ومفردتها مؤنث قال تعالى : ولا تقربا هذه الشجرة (البقرة / ٣٥) .

٣- جاء في البيت ( ١٢ ) (أخذته) ، قال البرقوقي نقاً عن التبريري وابن القطاع :- من  
رواه بالنوء أفسد المعنى ، ومن أراد البسط في الموضوع فعليه بالشرح (ج ٣ : ٩٧) .

٤ - حذف شيخو البيت ( ١٣ ) .

٥- جاء في البيت ( ١٦ ) (كأنهم) ، وذكر شيخو وعمر فروخ ج ٤٧٠ (كأنما)  
والثاني أولى لما فيه من معنى الحصر .

٦- قال البرقوقي في البيت ( ٢١ ) ومن روی فقطع : أراد الوقت ... .

- ٧ جاء في البيت (٢٦) (غائبٌ) بالرفع ، وذكر شيخو وعمر فروخ ج ٢ : ٤٧٠ بالتنوين ، والثاني أقرب للصواب لأن الكلمة نكرة وتدخلها التنوين لتدل على الكمال .
- ٨ جاء في البيت (٣٦) (بما) وذكر شيخو (لما) ، والأول أولى لأن شغل هنا يتعدي بالباء وبه يتم المعنى وهو أفعى من اللام .
- ٩ جاء في البيت (٣٧) (فيهم) بالكسر ، وذكر شيخو بالرفع ، والثاني أولى لما جاء في البيت (١٧) من هذه القصيدة .
- ١٠ حذف شيخو البيت (٤٠-٣٩) .
- ١١ جاء في البيت (٤٤) (ليس) ، وذكر شيخو (لسن) ، والأول أفضل لما فيه صنعة الإلتفات (من المخاطب إلى الغائب) .

### اشتراك المعانى

تحوم القصيدتان على معانٍ مشتركة ولكنها جاءت بالفاظ متنوعة وصياغة جديدة وتضمناً المعانى التالية :

### صفات المدوح

أولاً ) الشجاعة : هي صفة استقرت في أعماق قلوب البشر جميعاً ، حتى الجناء ، فما بالك لو كان الوصاف لها شاعراً شجاعاً والموصوف بها أميراً مقدماً ، فهو العارف بمواطنهما ، والواقف عليهما ، والممارس لها في حياته . وشاعرنا كالصراف يميز الخبيث من الطيب ، فانظر كيف يصف مدوحه بهذه الصور الجميلة المباشرة :

الف : الضربة الحاسمة بيد سيف الدولة ، لاته تعود ونشأ على القتال فلا تظاهر ولا تتكلّف في القتال كما يقول في هذا البيت :

لكل امرئٍ من دهره ما تعودا  
و عاداتُ سيف الدولة الطعنُ في العدا  
باء : سيف الدولة ضد الإعلام المزيف ، الذي له دور فعال في سوق القتال من نشر الأكاذيب وإشاعة الخوف والرعب في صفوف الجيش و... حيث يقول الشاعر :

وأن يُكذب الإرجاف عنده بضدّه  
ويمسي بما تنوی أعاديه أسعداً  
جيم : هو صاحب همة عالية ، لا يأتي عليها حتى الجيوش العظام وما تکمل الضربة الخامسة  
للعدو ، يقول المتني :

يَكْلِفُ سَيفُ الدُّولَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ  
وَقَدْعَجَتْ عَنْهُ الْجَيْوشُ الْخَضَارُمُ  
دَالُ : أشجع الشجعان ، تُضرب الشجاعة مثلاً بالأسد ولكن سيف الدولة أشجع منه لأنه  
يطالب الآخرين أن يكونوا شجاعاً مثله ، والأسد لا يطلب ذلك ، كما يصوّره الشاعر لنا في هذا  
البيت :

وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ  
وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضراغُمُ  
وَيَصُوَّرُهُ تَارِةً أُخْرَى بِأَنَّهُ وَاقِفٌ فِي عَيْنِ الْمَوْتِ :  
وَقَفَتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌ لَوَاقِفٍ  
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدِيِّ وَهُوَ نَائِمٌ  
فَالشَّجَاعُ الْبَطْلُ لَا يَهابُ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاتَّمَ النَّصْرَ وَاتَّمَ الشَّهَادَةَ فَكَلَاهَا فَوزٌ  
بِالسَّعَادَةِ .

و كذلك يصوّر شجاعة سيف الدولة بالصور التالية :

- ١- مرور الإبطال الجرحى أمامه وهو ضاحك مبتسم .
  - ٢- له شجاعة ورجاحة عقل خارقان للعادة ، وبهذا يكشف الغيب والمستقبل .
  - ٣- دحر العدو لما ضمَّ الميمنة على المسيرة .
  - ٤- واخيراً نزول النصر عليه لما بلغ السيف الرقاب .
  - ٥- فرار الدمشقي من ساحة الحرب بعدما تأسّر ابنه قسطنطين .
- هاء : وسائل الحرب :

من المعلوم لا ينتصر الفارس في ساحة المعركة إلاً ومعه أدوات القتال ، وفي القصيدة الدالية جاءت أسماء للأسلحة من مثل سيفه ، السيف ، الطعن ، زُرق الأسنـة ، الصوارم ، القنا ، واستعمل أيضاً الكلمات التالية : الجيش ، الفدية ، الممات ، الجريح ، الكـرـ ، والنـقـ ، ...  
المناسبة للحرب .

و اما ما جاء في القصيدة الميمية فهي : الخطـيـ ، البيـضـ ، الدرـعـ ، القـناـ ، الصـارـ ،

الردينيات ، الرمح ، الخيل ، المشرفية ، تفدي وكذلك استعمل الكلمات المناسبة للحرب من سقي الجمامج ، يجرون الحديد (الأسلحة) ، الجيوش الخاضram ، القتلى ، الشجاعة ، ضرب المهام و... .

ثانياً) الكرم والجود :

و هي من الصفات الحميدة الرفيعة المستوى ، اخْتَذَهَا الجليل مظهراً لقدرته و عظمته حيث هو الباسط بالجود يده الذي لا تنقص خزائنه ولا تزيده كثرة العطاء إلّا جوداً وكِرماً ، ثم اخْتَذَها الأنبياء: منطلقاً لدعوَّهم و عمل بما المؤمن والكافر ، فأصبحت من السمات الفاضلة لدى البشر ، وهذا هو الشاعر يصوّر مدحه بأحسن الصور في الكرم حيث يقول :

هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا على الدر واحذره إذا كان مربدا  
واعلم ان المال الذي يوجد به على الفقراء العفة ليس بالقليل ، بل كان ينحهم مالاً كثيراً  
بحيث يقتل به آثار الحزن وتحيى به علامات الفرح والسرور ، ومن جهة ثانية اما حصل على هذه  
الأموال الطائلة عن طريق الجهاد ومن غائم دار الحرب فانظر الى كلامه هذا :

**فَوْلٌ وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجِيُوشَةً**  
او يقول في قصيدة أخرى :

يُسْرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ  
وَاسْمُهُ يَقُولُ :

وتحبّي لهَ الْمَالَ الصَّوَارُمُ وَالْفَنَا  
وَيَقْتُلُ مَا يُحِبُّ التَّبَسَّمَ وَالْجَدَا  
وَمِنْ أَبِرَّ مَصَادِيقِ الْكَرْمِ لِسَيْفِ الدُّولَةِ ، مَا ثَالَهُ الشَّاعِرُ مِنْهُ حَيْثُ يَقُولُ :  
وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي السُّوغِيِّ  
فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعُطْيَةَ جَاءَتْ فُورِيَّةً فِي سَاحَةِ الْقَتَالِ ، لَا بِمُوَاعِيدٍ عَرْقُوبٍ ، كَمَا يَصُورُهُ الشَّاعِرُ فِي  
الْبَيْتِ التَّالِيِّ :

تركَتُ السُّرِّيَ خلفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ  
وَأَنْعَلَتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَكِ عَسْجَدًا  
وَأَنْعَلَتُ العَطَايَا كَثِيرَةً بِحِيثِ جَعْلِ نَعْلِ أَفْرَاسِهِ مِنَ الْذَّهَبِ .

ثالثاً) العزم والإرادة : فهما مصدراً قوة للقائد الحنك ، وبما أن الشاعر مغرم بكلّ الخصال الحميدة فهو يتبعها اتباع الظل للإنسان ، ويُشبّهها بالفعل المضارع الذي له معنى الحال أو

الإستقبال ، فهي ماضية قبل أن تجزمها الجوازم من حرف جزم أو شرط ، وبمعنى آخر لا يسبقه نهي الناهين أو عذر العاذلين كما يقول مخاطباً لسيف الدولة في البيت التالي :

اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً  
رابعاً) الذكاء والفتنة : فهي خاصة لبعض الناس ، وإن استخدمها الإنسان في صالح  
الإعمال توصل إلى أهدافه السامية خلافاً لمن يستغلها في الأهواء والشرور ، فمن رزقه الله العقل  
والفتنة سيكون من أصحاب المعاجز في الاعمال وهذا المتنبي يصف مدحوه المثالي قائلاً :

ذكيٌّ تظنيه طليعةٌ عينٌ  
يرى قلبةٌ في يومِه ما ترى غداً  
خامساً) الحلم والقدرة : الحاليم من يمتلك سعة الصدر ، وهي ممدودة في الملوك ، وطلبهما  
النبي موسى (ع) من الله تعالى قائلاً : (رب اشْرُحْ لِي صَدْرِي) (طه/٢٥) ، ويزداد الحلم ثناً إذا  
اقرنت بالقدرة كما يقول الشاعر :

رأيُكَ تَحْضُنَ الْحَلْمَ فِي حُضُنِ قُدْرَةٍ  
ولو شئتْ كَانَ الْحَلْمُ مِنْكَ الْمَهْنَدَا  
سادساً) الحكمة والرأي : قال أنوشروان : ((أربعة تؤدي إلى أربعة ، العقل إلى الرياسة ،  
والرأي إلى السياسة ، والعلم إلى التصدير والحلم إلى التوفيق)) (١) ، فهي كما ترى مجتمعة في  
سيف الدولة كما وصفه المتنبي :

وَلَكِنْ تُفْرُقُ النَّاسَ رأيًا  
وَجِحْكَمَةً كَمَا قُفْتُهُمْ حَالًا وَنُفْسَاسًا وَمُحْتَدًا  
فِي تُرُكُ ما يَخْفِي وَيُؤْخَذُ ما بَدَا  
سابعاً) لبس الجديد : وهو ما تميل إليه كل نفس ، ويحب الإنسان أن يجدد ملابسه ،  
أكلاته ، و . . . و . . . ، وهذه الظاهرة مشهودة في الأعياد والخلافات خاصة ، فتظل ذكرها  
في خواطر الناس حيةً ، فالمدحون المثالي لهذا وحيدٌ بين أقرانه كما إن الأعياد وحيدة في الأزمان ،  
ويعتقد الشاعر أن الأفضلية هذه ما جاءت إلا عن طريق الحظ والبحث ، وممّا يؤخذ على الشاعر  
هنا انه استخدام الحظ الذي هو ليس بخليف الإنسان دائماً ، وأرى ان الشاعر أجهف بحق  
سيف الدولة الذي كان حليفاً للقوة والرأي السديد ، فهو يشير إلى هذه المعاني في أبياته التالية :  
وَلَا زَالَتِ الأَعْيَادُ لِبْسَكَ بَعْدَهُ  
تُسْلَمُ مُخْرُوقًاً وَتُطْعَنُ بِمُجَدَّدًا

كما كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا  
وَهُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلُ الْعَيْنَ أَخْتَهَا  
ثَامِنًاً) سيف قاطع : السيف سلاح الشجعان وفي ظله اكتساب الجنان ، فما بالك من كان  
اسمه على مسمى ، فهو مسلول على الأعداء ولا يشك فيه احداً ، حيث يقول الشاعر :  
أَلَا أَتَهَا السَّيْفُ الَّذِي لِيْسَ مُغْمَدًا  
وَلَا فِيهِ مَرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمٌ  
نَقْدَ رَأِيٍ : مدحه عظيم ، مسبوك من الذهب ، صور ومعانٍ جليلة ، خيال رائع ، إلا أنني  
أظن استخدامه للتوحيد في البيت التالي :  
وَلَكُنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشَّرْكِ هَازِمٌ  
وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ  
فِيهِ نُوْعٌ مِنَ الْمُبَالَغَةِ حِيثُ تَجاوزُ الْمُحْدُودَ ، لَأَنَّ التَّوْحِيدَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْخَاصَّةِ بِاللَّهِ  
سَبِّحَانَهُ الَّذِي لِيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ .

صفات العدو : للعدو صفات أشار إليها الشاعر :

أولاً : شاكري السلاح : الروم من أعداء الإسلام فهم أصحاب القدرة عدّة (من خيل  
وسلاح ) ، وعدداً (فلهم الجيش الجرار ، فيه رجال من الأمم المختلفة ) وهذا هو المتنبي يصوّرهم  
في أبياته الأربع التالية :

سَرَّوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَافِلٌ  
ثَيَاهُمُّ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ  
وَفِي أَذْنِ الْجَوَزَاءِ مِنْهُ زَمَانٌ  
فَمَا تَفْهِمُ الْحَدَاثَ إِلَّا الْتَرَاجُمُ  
ثَانِيًّاً : استسلام العدو : ما أقسامها من ذلة وأمرتها طعمًا في فم الإنسان وسيقى العار عليه  
مدى التاريخ ، حيث ترى هذه الصورة الخالدة جرت على لسان المتنبي قائلاً :  
تُفَارِقَهُ هَلْكَى وَتَلْقَاهُ سُجَّدًا  
وَلَكُنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشَّرْكِ هَازِمٌ  
تَظْلِئُكَ الْأَرْضَ خَاشِعَةً لَهُ  
أَوْ يَقُولُ فِي الْقَصِيدَةِ الْأُخْرَى :  
وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ  
ثالثًاً : من صفات قائد قوات الروم :  
يُشَيرُ المتنبي في أشعاره إلى حصار القائد العام للقوات المسلحة الرومي ((الدمستق)) قائلاً :-

الف : العزم والإرادة : فهو مصمم على الضربة القاضية لسيف الدولة ومستعد للنزال معه  
بجميع قواه المسلحة ، واته مغتر بنفسه ومتكبر على ربه كما يُمثله المتنبي في هذين البيتين :

وَرَبَّ مُرِيدٍ ضَرَّةً ضَرَّ نَفْسَه  
وَمُسْتَكِبٍ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ سَاعَةً  
بَاءٌ : عَدِيمُ التَّجْرِيَةِ :

قيل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، لأن التجربة من أكبر البراهين للإنسان ، حيث يكتسب من وراءها معارف قيمة إن فائدة التعليم ، ولكن الدمشق جرب الحرب مراراً مع سيف الدولة لكنه عاود إليها ثانيةً وبعدة المتنبي أقل عقلاً من الليث ، حيث يقول :

أَفَ كَلَّ يَوْمٌ ذَا الدُّمْسُقَ مُقْدَمٌ  
أَيْنَكُرُّ رِيحَ الْلَّيْثَ حَتَّى يَذُوقَهُ  
أَوْ يَقُولُ فِي قَصِيْدَتِهِ الْأُخْرَى :

و ما تاب حتى غادر الكرويجه  
وهذه الصفة مذكورة في القيادة خاصة وعند الجنود عامة ، ويحكم على من يرتكبها بالإعدام  
في وقتنا الحاضر ، وجعلها الله تعالى صفة لأعدائه حيث يقول : (لَنْ يَضْرُوكُمْ إِلَّا أَذْهَى وَإِنْ  
يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُكُمُ الْأَذْبَارَ) (آل عمران/١١١) ، وبشير المتنبي إلى الدمشق قائلاً :

وَمَا طَلَبَتْ رُرُقُ الْأَسْنَةِ غَيْرُهُ  
وَلَكِنْ قَسْطَنْطِينٌ كَانَ لِهِ الْفِدَا  
وَقَدْ كَانَ بِحَيَاتِ الْمِسْوَحِ مَخَافَةً  
وَكَذَلِكَ تَجَدُّ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْبَيْتَيْنِ (٢٠-١٩) مِنْ هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ أَيْضًا .

دال : الطامة الكبرى  
القتل فخر للأبطال في سوح القتال ، والأسر ذلة وعازل هو ممات للحرار ، فهنا يصور  
الشاعر فاجعة الأسر لقسطنطين قائلاً :

وَقَدْ فَجَعْتَهُ بَانِيهِ وَابْنِ صَهْرِهِ  
أَوْ يَقُولُ فِي مَوْطِنِ آخِرَ :  
وَمَا قَلَ الْاحْرَارُ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ  
أَوْ يَشِيرُ إِلَى أَسْرِ قَسْطَنْطِينِ قَائِلًا :

ولكَنْ قَسْطَنْطِينٌ كَانَ لَهُ الْفِدَا  
وَمَا طَلَبَتْ رُرُقُ الْأَسْنَةَ غَيْرُهُ  
أَوْ يَقُولُ :

**لَذِكَرَ سَقِّى ابْنُ الدَّمْسَقِ يَوْمَهُ**  
فعليه يلزم أن يكون الخصم المقابل للروميين (سيف الدولة) على هذا المستوى من القوة والقدرة أو أعلى منزلة منهم ، ومن خلال هذه الصور للعدو تبدو لنا قدرات ومواقف سيف الدولة في الدفاع عن العقيدة ، ومن جانب آخر إنك تلمس سمات القوة والقدرة بوضوح في هذه الألفاظ التي تصدر عن نفس مقتدرة للشاعر .

رابعاً : ساحة القتال

صَوْرُ هَذَا الْفَنَانِ الْحَرْبِ بِعَنَاظِرِ جَيْلَةِ لَا يَنْجُونَهَا إِلَّا الْأَدِيبُ الْمَاهِرُ . وَتَحْتَوِيُّ أَيَّاتٍ هَذِهِ  
القصيدة على صور بدعة لجوانب مختلفة من ساحة القتال منها :

الف ) بودقة الإنصار : قيل : آخر الدواء الكي ، مثل معروف ، عندما تنسد جميع أبواب العلاج في وجه الإنسان ، يلجأ في النهاية إلى الحماوة والنار حتى تُحل المشاكل ، فالعلاج النهائي للمربيض الكي بالحديد ، وعلاج الذهب المغشوش بالذوبان والإنصمار بالنار ، وكذلك نار الحرب بودقة تميّز الخالص من المغشوش كما يقول الشاعر :

**فَلَلَّهِ وَقْتٌ ذُوبَ الْغِيشَ نَارُهُ**  
فلم ييقِّن إلا صارُهُ أو ضُبَارُهُ  
باء ) فرار الأبطال ، وهو من علامات الإنديار والإنكسار ، وهو الذي حرمه الله على أوليائه قائلاً ( وَتَنْ يُوَظِّمْ يَوْمَيْنِ ذُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيَّرًا إِلَى فَقَةٍ ) (الأفال ١٦/ ) فالجيش الرومي أصابه الخوف ولاذ بالفرار كما يصفه المتنبي :

**وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مِنْ لَا يُصَادِمُ**  
جيم ) قتلى العدو : فهم بكثرة ولا يُحصى لهم عدد ، وهم متشرون على الأرض كما تُشر  
الدارهم على رؤوس العرائس (١) فانظر كيف يقول :

**نَثَرْتُمْ فَوْقَ الْأَحِيدَبِ كَلَّهُ**  
كما تُشرت فوق العروس الدارهم

دال ) السقي بالدم : لقد سقطت الطبيعة أرض الحدث بغمامها قبل النزال ، وهاهو سيف

(١) وهذا العمل ( نثر الدارهم ) باقٍ ليومنا هذا .

الدولة يُسقيها ثانية بالدماء حيث يقول :

سفرتها الغمام الغر قبْل نُزولِه  
فلمّا دنا منها سقتها الجمامُ  
هاء ) الرصد في الجبال : الحرب في المناطق السهلية صعبة جداً ، فما بالك لو اتفقت في  
المناطق الجبلية الوعرة والعلية المرتفعة ، حيث أعشاش الكواسers والعقبان من الطيور الجارحة ،  
فهذا جبل الأحيدب عالي جداً تسكنه الأفرخ ، وصعب العبور للخييل ، فترى سيف الدولة كيف  
يمشي الخيل الى الإمام قائلاً :

تدوسُ بك الخيل المذكور على الذرى  
تظنُ فراغ الفتح آنَك رُزخَا  
إذا زلفت مشئيتها ببطوحا  
او يقول في قصيدة أخرى :

وصُولُ إلى المستصعبات بخييلٍ  
فلو كان قرنُ الشمس ماءً لا ورداً  
والخلاصة ان الشاعر يصف لنا كيف تتصدى سيف الدولة للحروب الصليبية فيما مضى، ونحن اليوم نشاهد  
الاعاصير الصليبية تهب حيناً بعد حين، وقى الله المسلمين شرها.

### عنصر العاطفة

انك ترى الإعجاب الناشئ من عاطفة الشجاعة والكرم لدى الشاعر سارية المفعول من أول  
القصيدة الدالية وحتى نهايتها ، فالآيات الثمانية الأولى تتحدث عن شجاعة سيف الدولة والبيت  
الخامس منه يتحدث عن كرمه ، وهكذا يستمر الشاعر في وصفه للشجاعة حتى البيت العشرين ،  
وفي كلّ بيت يصور المدوح من زاوية خاصة ، فإذا بالصور الخيالية هذه تتكامل بأحسن شكل ،  
ويصور الشجاعة لسيف الدولة بأعظم صورة في البيت التالي :

وصُولُ إلى المستصعبات بخييلٍ  
فلو كان قرنُ الشمس ماءً لا ورداً  
فليس الشجاع من يضرب هام الأعداء فقط ، بل الشجاع من يتحمل المصائب والمصاعب  
حتى ينال الهدف المنشود ، (فلو) هنا من الفروض المحالة ، يقول المتنبي : لو وُجدت الحياة  
(غير عنها بالملاء) في قرن الشمس (بعد المسافة) لتحتل سيف الدولة المشاق للوصول اليها ،  
لما يحمل من رسالة انسانية الى البشرية ، فما أبدعها من صورة وجمال ، ومن لوعة فنان أديب عالم  
بأسرار الكلام ، ولا يأتي الإبداع هذا من أي فنان سوى المتنبي الشاعر .

نعود ونقول ان الإعجاب بالمدح مصدر تأثير الشاعر في عاطفته لهذه القصيدة ، فانظر الى

قوله :

هُوَ الْبَحْرُ غُصْنٌ فِيهِ إِذْ كَانَ سَاكِنًا  
عَلَى الدَّرِّ وَاحِدَةٌ إِذَا كَانَ مُزِيدًا  
فَالشاعر هنا معجب بكرم سيف الدولة في هذا البيت ونظائره لأن الشجاعة جعلته يقدم  
على الجود وقتل الفقر وإحياء الإبتسامة على الشفاه ، ثم لو نظرنا الى هذا البيت :

سَرِيَتْ إِلَى جِيَهَانَ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ  
ثَلَاثًا لَقْدُ أَدْنَاكَ رَكْضٌ وَأَبْعَدَا  
فالسرعة في السير ناشئة من شجاعته فلو كان جباناً ما أمكنه قطع هذه المسافة الطويلة في  
ثلاثة أيام ، وهكذا ان الإعجاب بهذا فرض نفسه في الأبيات جميعاً ولو لاها لما نطق الشاعر  
 بكلمة .

ثم لو وقفنا قليلاً عند القصيدة الميمية سنجد الإعجاب والشوق الى سيف الدولة فرضاً  
نفسها على أرجاء القصيدة فانظر الى قوله :

و يطلبُ عَنْدَ النَّاسِ مَا عَنْدَ نَفْسِهِ  
و ذلك ما لا تدعيه الضراغم  
و من عوامل الإعجاب عند المتibi ان سيف الدولة اشجع من الأسد الذي يضرب به المثل في  
الشجاعة ، وذلك ان الأسد لا يطلب من الآخرين أن يكونوا أسوداً مثله ، ولكن سيف الدولة  
أعلى منزلة من الأسد الشجاع ، لانه يطلب من الآخرين ان يكونوا أسوداً مثله ، وكذاك لو  
نظرنا الى قوله :

بناهَا فَاعْلَى وَالقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنَابِيَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمٌ  
وممّا يشير الإعجاب عند الشاعر انه بدءاً بالبناء وال الحرب لم تضع أوزارها ، ومن مظاهر  
الإعجاب أيضاً قوله :

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فَعَلَا مَضَارِعًا  
مضى قبل أن تلقى عليه الجوازُ  
فسيف الدولة هو سيد الموقف فلا رأي ولا حكم إلا له ، فكلمة سيف الدولة هي نافذة  
المفعول لغير .

و من إعجاباته بهذا البيت :

حَقَرَتِ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَانَ السَّيفُ لِلرَّمَحِ شَامِ  
لان الرماح سلاح الجناء ويرمى به على الأعداء من مسافة بعيدة ، ولكن السيف هو سلاح

الشجعان الذي يقابل به العدو وجهاً لوجه ، والأعجب من ذلك كله قوله :

ألا أيتها السيفُ الذي ليس مُعْمدا  
و لا فيه مرتابٌ ولا منه عاصِمٌ  
فسيف الدولة سيف على الأعداء ولا يشك أحد في ضررته القاطعة ولا ينجو منه أحد .

وينتهي هذا الإعجاب بالدعاء للممدوح حيث يقول :

وَلَمْ لَا يقِي الرَّحْمَنْ حَدِّيْكَ مَا وَقَى  
وَتَفْلِيْقُهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمٌ

### م الموضوعات متعددة

- (الأعمار) أولاً )

المعروف عن الحروب أكلاً تدمر كلَّ أخضر ويايس ، فلابد للقائد المقدم أن يعمر ما أبادته الحرب ، ولكن سيف الدولة بما أنه مميز في جميع الصفات وهو كذلك مميز في الأعمار حيث يصدر الأوامر بالأعمار وال Herb قائمة على قدم وساق ، يقول المتنبي :

بناها فاعلَى والفنان تقرعُ القنا  
و موجُ المنايا حولها مُتلاطمٌ  
ثانياً ) السكون :

لابد للريح أن تهدأ بعد العاصفة ، ولابد للنار أن تخمد ، ولابد للشر أن يزول يوماً ، وهذه الحدث الحمراء زال عنها الجنون واستقرت لما علتها التمائيم من القتل ، حيث يقول :

و كان بها مثل الجنون فأصبحت  
و من جثث القتلى عليهما تمائم  
ثالثاً ) بشائر النصر :

لكل شيء عالمة ، ومن علامات الانتصار في ساحة القتال ، الضربة القاضية وتقليق رؤوس الأعداء كما يصوّره المتنبي :

بصريٌّ أتى الهمات والنصر غائبٌ  
و صار إلى اللبابِ والنصر قادمٌ  
رابعاً ) حكم وأمثال المتنبي :

إن من عادة المتنبي أن يطرح موضوعاً ذا حكمة في مطلع كل قصيدة ثم يستنتاج المطلوب منه ، فنراه يطرح في الشطر الأول من البيت الأول قضية عامة ألا وهي الدهر والعادة ، ثم يسير بما نحو الممدوح وعاداته ، وهكذا نراه يعمل بالخطة نفسها في القصيدة الأخرى ، فاته يطرح

موضوع العزم والكرم وأهلهما ثم يتجه نحو كرم وعزم سيف الدولة .

و كذلك نشاهد هذا الحكم يطرح في طيات القصيدة لأغراض ينشدتها الأديب ، منها :

- ١- إذا أنت أكرمتَ الكَرِيمَ ملْكُتَهُ
  - ٢- ووضع الندى في موضع السيف
  - ٣- . . .
  - ٤- هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلُ الْعَيْنَ أَخْتَهَا
  - ٥- وَمَنْ يَجْعَلُ الضَّرْغَامَ بَارِزاً لِصِيدِهِ
- خامساً ) الإفتراق : -

اما المعاني المختلفة في القصيدتين فجاءت قليلة ، ففي القصيدة الأولى وعند الختام ذكر وفاته وإخلاصه لسيف الدولة قائلاً :

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحْبَبَهُ  
وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قِيَداً تَقَيَّداً  
وَأَمَّا الْقَصِيدَةُ الْمِيمِيَّةُ اخْتَمَتْ بِالدُّعَاءِ لِلْمَحْبُوبِ الْمُثَالِيِّ حِيثُ يَقُولُ :  
هَيْئَا لِضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَحْدِ وَالْعَلَى  
وَرَاحِيكَ وَالْإِسْلَامَ اَنْكَ سَالِمُ  
وَتَفْلِيقَهُ هَامُ الْعِدَا بَكَ دَائِمُ  
سَادِسًا : الْفَخْرُ بِالشِّعْرِ : مِنْ دَأْبِ الشَّعْرَاءِ أَنْ يَفْتَخِرُوا بِأَدْبُهُمْ ، فَمَا بِالْكَبِيرِ مِنْ مُتَنَبِّي  
الَّذِي تَكَرَّرَ مِنْهُ هَذَا الْمَوْقِفُ فِي القصيدتين وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الدَّالِيَّةِ أَكْثَرُ فَخْرًا مِنَ الْمِيمِيَّةِ ، فَانظُرْ إِلَى  
الْأَيَّاتِ التَّالِيَّةِ :

إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشَدًا  
وَغَنِيَ بِهِ مَنْ لَا يُغَنِّي مُغَرِّداً  
بِشِعْرِي اَنْتَكَ الْمَادِحُونَ مُرَدِّداً  
أَنَا الصَّائِحُ الْمُحْكَيُّ وَالآخِرُ الصَّدِي  
وَتَحْمِدُ الْمَعْنَى نَفْسَهُ (الْفَخْرُ بِالشِّعْرِ) تَكَرَّرُ فِي الْبَيْتِ التَّالِيِّ مِنَ الْقَصِيدَةِ الْأُخْرَى :  
فَأَنْكَ مَعْطِيهِ وَإِنِّي نَاظِمُ  
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لِفَظَةٍ

## هيكل القصيدةتين

فهي مكونة من خمسة أجزاء - المقدمة : يدخل مباشرة في صلب الموضوع (المدح) تاركاً وراءه الغزل ، وهي ذات طابع حكمية عالية -٢- وصف لشجاعة سيف الدولة -٣- مدح لسيف الدولة -٤- ثم العود على البدأ وطرح الحكم ثانيةً -٥- ثم التخلص الى مدح نفسه حيث يقول : فَأَنْتَكَ مَعْطِيهِ وَإِنِّي ناظِمُ لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لِفَظَةً او تراه يقول في القصيدة الأخرى :

وَمَا الدهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَلَادِي  
فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يُسِيرُ مُشَمِّرا  
وَدَعَ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَانِي  
وَتَرَاهُ يُطَالِبُهُ فَخْرًا وَاعْتِزَازًا :

إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنَ رَأْيِكَ فِيهِم  
وَمَا أَنَا إِلَّا سَهْرَرِي حَلَّتْهُ  
وَيُشَيرُ كَذَلِكَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى (الفخر) في القصيدة الثانية :

أَجْزِنِي إِذَا أَنْشَدْتُ شِعْرًا فَانِّي  
تَرَكَتُ السُّرِّي خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ  
وَهَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ وَالنَّفْسُ الْمَطْئِنَةُ السَّائِدَةُ عَلَى ارْجَاءِ الْقَصِيدَةِ تَنْتَهِي عَلَى خَيْرٍ ، وَأَخْيَرًا  
نَرِي إِخْلَاصَهُ وَوَفَاءَهُ الْعَظِيمَيْنِ لِمَدْوِوهِهِ الْمَثَالِيِّ حِيثُ يَقُولُ :

وَقَبَدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مُحَبَّةً  
وَأَخْرِي يَدْعُونِي لِهِ بِالنَّصْرِ وَالْبَقَاءِ سَالِمًا حِيثُ يَقُولُ :  
هَنِئًا لِضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجَدِ وَالْعُلَى  
وَلَمْ لَا يَقِي الرَّحْمَنْ حَدِيَّكَ مَا وَقَى  
وَأَمَّا مِنْ حِيثِ الْكَلِمَاتِ ، فَبِمَا أَنَا شَارِكُنَا الشَّاعِرُ فِي سَاحَةِ الْقَتَالِ وَذَكْرِ الشَّجَاعَةِ ، ...  
وَ... ، فَانِ الْكَلِمَاتُ الْمُخْتَارَةُ جَاءَتْ مَنْاسِبَةً لِحِيطِ الْقَصِيدَةِ مِنْ أَمْثَالِ : السِّيفُ ، وَالرَّمْحُ ،  
وَالطَّعْنُ ، وَالْأَعْدَاءُ ، وَالْجَيْشُ ، وَالْمُضَرَّرُ ، وَالْمُلْكَى ، وَالصَّوَارِمُ ، وَالْخَلِيلُ ، وَالْمَمَاتُ ، وَالْفَدِيَّةُ ،

والكرر ، والنفع ، والشفرة ، والضرغام ، والباز ، والقدرة ، وقطع الهم ، والهزيمة ، والابطال ، والجرحى ، والضرب ، والنصر ، والخميس ، والمنايا ، والبيض ، والهدم ، والجماجم ، والن سور ، والقشاعم وما شابه ذلك .

### وقفة مع الكرم

المدحوب بحر للعطاء ، يقتل ما تحيي التبسم والجدا ، ويسلم مخروقاً ويعطي مجدداً ، ومن أبرز مظاهر الكرم العفو عند القدرة حيث يقول :

و ما قتل الأحرار كالعفو عنهم  
ثم نرى استعماله للكلمات المناسبة للكرم مثل : الندى ، الكرم ، والعسجد ، إعطاء ،  
عطايتك ، أجزني ، وأمثالها ، ثم ينتهي الى هذا البيت :

إذا سأل الإنسان أيامه الغنى  
و كنت على بعدي جعلنك موعدا  
و ثم يُعرج من كرم المدحوب الى أزالة حسد الحساد الذي نشأ من كرم سيف الدولة له حيث يقول :

فأنست الذي صيرتكم لي حسدا  
أزيل حسد الحساد عني بكتبهم

### أهم البحوث

طرق المتنبي لبحوث مختلفة في القصيدتين منها الموضوعات العقلية والعاطفية .....  
و اما الموضوعات العقلية : فهي الجهاد والحكم ، العلم والدرایة ، واما المسائل العاطفية فهي العزم والإرادة ، الشجاعة والكرم ، الحلم والقدرة التي نشأت من الإعجاب بالمحبوب الثنائي عند المتنبي . واما الصورة الخيالية : فهي تدور على محورين : التشبيه والاستعارة ، فالتشبيه أحکامه وأصوله مبوسطة في الكتب البلاغية ، و اما نشير هنا الى :-  
ادوات التشبيه :

استغل المتنبي التشبيه لبيان مقاصده فاستعمل من الإدوات :  
١- الكاف : وهي الحرف الأصلي وتحتل المرتبة الأولى في هذا المقام بين أقرانها ، حيث

استخدمها القرآن الكريم في (٢٨٢) موطناً، وتكررت في القصائدتين للمتنبي خمس مرات كالتالي :

١- كما كنت فيهم أوحداً كان أوحداً .

٢- وما قتل الأحرار كالغفو عنهم .

٣- كما فقتهم حالاً ونفساً ومحظياً .

٤- كما نشرت فوق العروس الدرهم .

٥- كما تتمشى في الصعيد الأرقام .

٦- كأنّ : تأتي في المرحلة الثانية في الإستعمال حيث استخدمها القرآن الكريم في ٣١ موضعًا ، وتكررت عند المتنبي ٣ مرات كما يلي :

١- أتونك يجررون الحديد كأئمهم ...

٢- وفقت وما في الموت شاك لواقف كأنك ...

٣- ... حتى كأن السيف للرحم شاتم .

٤- كلمة مثل : تأتي في المرحلة الثانية أيضاً ، حيث استخدمها القرآن الكريم في ٣١ موضعًا ،

وتكررت عند المتنبي مرتين كما يلي :

١- فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى ...

٢- وكان بها مثل الجنون فأصبحت ...

فاكرم بها من صناعة أدبية عالية .

الإستعارة :

واما الأبيات التي استخدم الشاعر فيها الإستعارة فهي :

١- هو البحر عُصْنٌ فيه اذ كأن ساكناً

٢- وتحسي له المال الصوارم والقنا

٣- ...

٤- ولا زالت الأعياد لبسك بعده

٥- وما الدهر إلا من رواة قلائد

٦- يكلّف سيف الدولة الجيش هَهَهَ

و يقتل ما يحيي التبسم والجدا  
يرى قلبـة في يومـه ما ترى عـدـا

- فلمّا دنا منها سقتها الجماجم  
و موج المنايا حومها مُتلاطم . . . . ٧
- وقد حاكموها والمنايا حواكم . . . . ٨
- لك الحمد في الدر الذي ليحفظه ٩
- لك الحمد في الدر الذي ليحفظه ١٠

### بـحـر الـقصـيـدة

وأخيراً إن القصيدة الدالية جاءت على وزن البحر الطويل الذي هو سيد البحور العربية ، وما من شاعر إلا وخاض الوزن هذا ، وبناءً على هذا فإن هذا الوزن هو المناسب للمقام من المدح والشجاعة والكرم والسيادة وهاك الوزن العروضي لها :

لكلِّ امرئٍ من دهره ما تعرّضاً  
وعاداتُ سيفِ الدولة الطعنُ في العدا

ل كلِّ لم / رئِّي من ده / ر هي ما / ت عو ودا

- - - - U - / U - U / - - -

فـعـولـنـ مـفـاعـيلـ فـعـولـنـ مـفـاعـيلـ

وـعـادـ / ةـ سـيـ فـدـ دـوـ / لـ تـطـ طـعـ / نـ فـلـ عـ دـا

- - - - U / U - - -

فـعـولـنـ مـفـاعـيلـ فـعـولـنـ مـفـاعـيلـ

### وـحدـةـ الـمـوضـوعـ

واما وحدة الموضوع فهي تفرض نفسها من أول القصيدين حتى خاتيمـا من المدح للشجاعة ، المدح للكرم ، المدح للغفو ، المدح لسيف الدولة ، ومن أجل التوازن يذكر خصال العدوـالـذـيـمـةـ . وأخـيرـاـ مدح نفسه ، فـالـلـاحـظـ فيـ القـصـيـدـتـيـنـ انـ أحـدـهـاـ تـكـمـلـ الأـخـرـىـ ، وـبـعـدـاـ

يـتـمـ المعـنىـ وـهـاـ فيـ خطـ وـاحـدـ .

## وقفتان

الأولى مع القصيدة الداللية والثانية مع الميمية . اما القصيدة الداللية فسيطرة القوة على أرجائها منذ البداية حتى النهاية ، فهناك مواقف سديدة لسيف الدولة .

الأول : مع العدو الذي كان يتميز بالقوة والإقتدار ، حيث نرى هذا المعنى في البيت الأول ، فمن طعن الأعداء إلى إبطال الأكاذيب والأراجيف في البيت الثاني ، وإلحاق الضرر بسيف الدولة من قبل العدو المستكير في البيتين(٣٤)، إلى استسلام الملوك أمامه ، أو القتل والفناء حالة الرد والرفض البيت ٧ .

الثاني : القوة عند سيف الدولة لقد صورها الشاعر باشكال مختلفة ، فمن الذكاء والتباً للمستقبل البيت ٩ ، الى تحمل المشاق والصعاب البيت ١٠ ، وإلى العمل الدؤوب البيت ١٢ ، وإلى بيان شجاعة سيف الدولة البیتان ٤(١٥)، وكيف صور سيف الدولة انه أوحد زمانه فهو عيد لكل عيد ، وهو القمة في الفكر والكرم -الأبيات ٥(٢١، ٨)، إلى (٤٠، ٣١)، وإلى بيان القوة في أخلاقه المتجلية في العفو والجود البیتان (٢٩، ٢٨)، إلى بيان الإتزان في القدرة البيت ٣٠ ، ثم انظر كيف يصور القوة المعنوية للممدوح عندما يطلب منه إزالة الحسد عنه ، البيت ٣٣ .

الثالث : لما كان سيف الدولة بهذه القوة والصلابة ، فلا بد للعدو ان يتضاغر أمامه ويكون ذليلا كما في الأبيات (١٨، ١٧، ١٦) .

الرابع : قوة الشاعر ، قيل : كل إباء بما فيه ينضح ، فالكلام هدا ينطبق كاملاً على المتنبي القوي الشجاع في البيان والستان ، فهو يضرب الأعداء بسيف محمد ، البيت ٣٤ ، وهو الرمح الذي يزين حامله أيام السلم ويصيب الأعداء أيام الحرب ،البيت ٣٥ ، والمتنبي يفخر على الآخرين ان الدهر أصبح مطينا له ، البيت ٣٦ ، ثم انظر كيف تجلّت القوة عنده لما استخدم فعلي الأمر ، أجزني،البيت ٣٨ ، ودع ، البيت ٣٩ . وأخيراً يتضاغر الشاعر أمام سيف الدولة الذي قيده بإحسانه وأصبح مطيناً لمن هو أقوى منه قدرة .

اما الثانية القصيدة الميمية ، فكذلك تجد فيها مظاهر القوة مسيطرة عليها ، ولكن بشكل

أحسن وأكمل من الدالية .

أولاً : صور همة سيف الدولة أهـا أعلى منزلة من الجيوش الخضراء ، وأيضاً أعلى همة من الضراغم والأسود ، البيتان (٥-٣) ، ولأجل هذه الهمة العلياء تقدـي الطيور الكواسر أعمـارها له ، لأنـه صاحـب قدرـة وقوـة وضـربـة - البيـان (٦-٥) ، واتـما قدرـته عـلـى الأـعـمار وـالـبـنـاء زـمـنـ الحـرب ، التي تكون عـادـةً من أـصـعب الأمـور ، فجـاءـت فيـ الـبـيـان (٩) ، ثم اـنـظـرـ اليـه كـيـف يـصـوـرـ عـزـمـ وإـرـادـةـ المـدـوحـ الذـي لاـ يـشـنـيـ أـمـامـ الآـخـرـينـ البيـانـ (١٣ـ وـ ١٤ـ) ، وأـيـضاـ انـظـرـ كـيـف يـصـوـرـ شـجـاعـةـ سـيفـ الدـولـةـ وـهـوـ وـسـطـ سـاحـةـ القـتـالـ ، لـايـهـابـ الموـتـ بلـ هوـ ضـاحـكـ مـسـبـشـرـ بـالـنـصـرـ ، البيـانـ (٢٢ـ وـ ٣٢ـ) .

ثانيـاً : التـعـجـبـ من قـدـرـةـ سـيفـ الدـولـةـ ، فـهـوـ قـويـ كـمـاـ جـاءـ فـيـ الـبـيـانـ (٧ـ وـ ٨ـ) ، حيثـ سـقـىـ الحـدـثـ الحـمـراءـ دـمـاـ مـنـ كـثـرـةـ القـتـالـ ، عـلـمـاـ أـهـاـ كـانـتـ مـنـ قـبـلـ هـائـجـةـ وـمـحـنـونـةـ البيـانـ (١٠ـ وـ ١١ـ) .  
ثالـثـاً : قـوـةـ العـدـوـ ، حيثـ صـورـهـاـ الشـاعـرـ بـدـقـةـ كـامـلـةـ مـنـ آـنـهـ يـمـتـلـكـ جـيـشـاـ جـرـارـاـ مـسـلـحـاـ مـعـ الـحـيـولـ وـلـبـسـ الـدـرـوـعـ وـالـحـوـذـ ، وـانـ أـصـوـاتـ الـحـدـيدـ تـسـمـعـهـاـ السـمـاءـ كـمـاـ جـاءـ فـيـ الـأـيـاتـ (١٦ـ إـلـىـ ٢٠ـ) .

رابـعاً : الإـمـتـحـانـ ، قـيـلـ عـنـدـ الإـمـتـحـانـ يـكـرـمـ المـرـءـ أوـ يـهـانـ ، فـانـظـرـ إـلـىـ هـذـاـ الشـاعـرـ الـقـدـيرـ كـيـفـ يـرـىـ أـنـ نـارـ الـحـرـبـ تـصـهـرـ وـتـذـوبـ الغـشـ ، وـتـظـهـرـ الـحـالـصـ لـلـعـيـانـ ، فـانـكـسـارـ السـيـوفـ وـالـرـماـحـ وـالـدـرـوـعـ وـفـارـ الـأـبـطـالـ مـنـ سـوـحـ الـقـتـالـ مـاـ هـيـ إـلـاـ قـوـةـ لـلـحـرـبـ الـتـيـ خـاطـبـهـ سـيفـ الدـولـةـ ، البيـانـ (٢٠ـ وـ ٢١ـ) .

خامـساً : ذـلـكـ العـدـوـ ، فـلنـ يـقـىـ لـلـعـدـوـ سـوـىـ الإـخـزـامـ أـمـامـ قـوـةـ سـيفـ الدـولـةـ ، فـمـنـ تصـوـرـ لـلـفـرـارـ إـلـىـ عـدـمـ التـجـرـيـةـ لـلـدـمـسـتـقـ الـأـيـاتـ (٣٣ـ وـ ٣٨ـ) . وـأـخـيـراـ إـلـىـ قـوـةـ الـبـيـانـ عـنـدـ الشـاعـرـ الـذـيـ اختـارـ الـأـلـفـاظـ الـجـزـلـةـ الـحـكـمـةـ ، وـالـنـظـمـ الـدـقـيقـ لـلـمـعـرـكـةـ ، الـبـيـانـ (٤١ـ) .

## سـاحـةـ القـتـالـ

بـماـ أـنـ القـصـيـدةـ اـحـتوـتـ عـلـىـ صـورـ لـسـاحـةـ القـتـالـ ، لـكـنـ الـمـيـمـيـةـ جـاءـتـ أـكـمـلـ مـلاـحـاـ مـنـ الدـالـيـةـ ، كـمـاـ هـوـ الـظـاهـرـ فـيـ بـيـانـ أـسـمـاءـ الـرـومـيـنـ ، فـفـيـ الدـالـيـةـ ذـكـرـ الدـمـسـتـقـ وـابـنـ قـسـطـنـطـيـنـ ،

وأنا الميمية فأضاف عليها ذكر الروم والروس وصهر الدمستق . وأما بالنسبة إلى ذكر الأمكنة ففي الدالية جاء ذكر جيحان وآمد وفي الميمية ، الحدث الحمراء ، والأحيدب ، فهما متساويان من هذه الناحية . وأنا بالنسبة إلى الأسلحة ، ففي الدالية جاء ذكر السيف والصورم والقنا والسموري والطعن والجيش والجيوش وزرق الأستة والدلاص ، ولكن الميمية اشتملت على ذكر أكمل وأوسع فمن الجيش والجيوش ، والخمسين والجناح والقلب ، والسيف والسيوف والأسياف والحديد والقوائم ، والشرفية والضبي والبيض والضرب ، ومن الرمح والقنا والخطي والطعن والردبيات ، إلى الدرع والجبار والوغى .

الجديد في البحث : إذا كان المهد المرسوم من قبل النقاد في الموازنة هو التفاضل وترجيح قصيدة على أخرى من حيث المعنى فأنني أرى أن القصصتين جاءتا لتكمل أحدهما الأخرى كما هو المشهود في الأمثلة التالية :

١ - انظر إلى هذين البيتين :

فولأعطيك ابنه وجيوشه  
جيعاً ولم يعطِ الجميع ليحمنا  
وقوله :

يسْرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةِ  
فَعَمْلِيَّةِ الْأَعْطَاءِ مِنَ الْإِبْنِ وَالْجَيْوشِ لَمْ تَكُنْ عَنْ جَهَلِ ، وَلَمْ تَكُنْ لِأَجْلِ اِكتِسَابِ الْحَمْدِ  
وَالْمَدْحُ ، بل للنجاة من القتل المحروم ، فالمعنيان يتکاملان في البيتين .

٢ - ثم انظر إلى هذين البيتين في الكرم والجود :

فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ  
وَإِنِّي لَتَعْلُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَغْيِ  
وقوله :

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي مِنْ قَلْ مَائِلٌ  
وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنْعَمَاكَ عَسْجَدًا  
انْعَطَايَا وَهَبَاتِ سِيفِ الدُّولَةِ كَثِيرَةٌ حِيثُ أَنِّي جَعَلْتُ نَعْلَ خَيْوَلِي ذَهَبًا ، فَانِّي بِي تَكَامِلٌ  
معنى .

٣ - وانظر إلى العزم والإرادة في قوله :

وَصَوْلُ إِلَى الْمِسْتَصْبَعَاتِ بِخَيْلِهِ  
فلو كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَا وَرَدًا  
وقوله :

اذا كان ما تنوّيه فعلاً مضارعاً  
مضى قبل أن تلقى عليه الجواز  
ففي البيت الأول سيف الدولة يعمل المستحيل بعزم القوى لما غير الشاعر عنه بـ (لو)  
فالبيت الأول يعد من مصاديق البيت الثاني ومفسراً له ، وبذلك يظهر الكمال فيهما جميعاً .

٤ - وانظر أيضاً الى قوله :

ولكنت التوجيه هازماً للشرك هازماً  
ولست مليكاً هازماً لنظره  
وقوله :

تظل ملوك الأرض خائفة له  
تُفارقة هلكى وتلقاء سجداً  
بما ان المدوح لا نظير له ، فهو ملك الملوك ، فلا يهزم أحد بل ان الملوك تظل مستسلمة  
له ، وإن فارقته فسيكون مصيرها العدم والفناء .

٥ - وهكذا الكلام في البيتين التاليين :

فقاء على الإقدام للوجه لائم  
أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم  
وقوله :

و ما تاب حتى غادر الكرو وجهه  
جريحاً وخلي جفنة النقع أرمدا  
فلن يتوب الدمستق من الإقدام للحرب إلا من بعد ان أصبح وجهه جريحاً وأصيّت عيناه  
بالرمد وفر أخيراً من الحرب ، فالبيتان يكملان أحدهما الآخر من حيث المعنى .

٦ - وأخيراً لنتظر الى قوله في هذين البيتين :

و قد فجعته بابنه وابن صهره  
و بالشهر حملث الأمير الغواشم  
وقوله :

و ما طلبت رُوق الأستة غيرة  
ولكن قسطنطين كان له الفدا  
الفاجعة الكبرى في البيت الأول ، والبقاء الأعظم في البيت الثاني ، ما هو إلا الأسر  
لقسطنطين ، فجاء المعنى مكملاً أحدهما الآخر .

## الدرس الخامس

### وقفة مع القصائد السبع

ينظر أكثر العلماء إلى ابن أبي الحديد على أنه من أحد الأدباء البارعين ، وذلك لإشتهراته في الماجموع العلمية ولشرحه نجح البلاغة الذي عالج فيه الأدب واللغة والنقد الأدبي . . . ، ولكنه لم يشتهر على مستوى شاعر معروف كسائر الشعراء ، علمًاً أتنا وجدناه شاعرًا بمعنى الكلمة ، وإنما يستحق التحقيق والعناية أكثر من قبل الناقدين ، حتى يتطلعوا على أدبه وشعره الذي يحوم على محاور ثلاثة ، منها قصائده السبع ومنها المستنصريات التي مدح بها الخليفة العباسى ومنها المتناثرة في شرحه للنهج ، وحاولنا في بحثنا هذا أن نكشف بعض الجوانب الأدبية والبلاغية لقصائده السبع ، والتي توفرت على عناصر الأدب من عاطفة وخيال . . .

الهدف من هذا البحث هو تحليل أدبي لصور البيان في القصائد العلويات ، والإشارة إلى مواضع الحسن والجمال ، واكتشاف ما تميز به ابن أبي الحديد عن السائرين في فنون وإغراض الأدب .

تعتبر القصائد العلويات السبع لإبن أبي الحديد ذروة الشعر العربي وخاصة في المدح ووصف سوح القتال لأمير المؤمنين الامام علي(ع) وابتكار المعانى الجديدة، فمدحه ليس من وراءه مال ولا مقام ولا منصب ولا ارتقاء كما كان يفعل الشعراء ، مدح لا يطلب قائله شهرةً ولا سمعةً ، مدح ليس فيه طمعٌ سوي الثواب من الله ، مدح جري في جسمه مجرى الدم ، وخلاصة القول : كان مغزماً بحسب الإمام علي(ع) كما يقول :

أهواك حتى في حشاشة مهجتي نار تشبّ على هواك وتلذغ<sup>(١)</sup>

ثم تراه يخصل الحبّ لعلّي وآلّه كما يقول في قصيدة أخرى :

سامنحكم متّ مسودة وامق<sup>(٢)</sup> بعض قلي عن غيركم طرف هاجر<sup>(٢)</sup>

هذا وان مدحه مستمر للامام علي<sup>(ع)</sup> طوال حياته على رغم أعدائه ، كما يصرّح بذلك في هذا البيت :

لأستفدنّ العمر في مدحي له وإن لامي فيه العذول فاكثرروا<sup>(٣)</sup>

وكما قلنا إن ابن أبي الحديد كان يخلص في حبه للامام علي<sup>(ع)</sup> حيث يقول :

وخلّت مدحبي في سواك هجاءه ظنتش مدحبي في سواك هجاءه<sup>(٤)</sup>

وأخيراً يرى أن مدحه له<sup>(ع)</sup> دون مدح الرحمن حيث يصرّح قائلاً :

هي دون مدح الله فيك وفوق ما مدح الورى وغلاك منها أكملاً كمل<sup>(٥)</sup>

## سوى القتال

هو الوصف الوحيد لقتال أشجع الفرسان عند العرب والمسلمين أمير المؤمنين الامام علي<sup>(ع)</sup> ، ولم يبالغ في هذا الكلام ، وسنرى الأدلة عن كثب ونقول : إنّه ممّا لا شك فيه أنّ الشعر يفرض نفسه متى ما وجد القوة ، فهو يسير جنباً إلى جنبها ، وخير شاهد حتى على هذا الكلام ما قام به ابن أبي الحديد في مدح الامام علي<sup>(ع)</sup> ، لأنّه<sup>(ع)</sup> مظهر من مظاهر القوة الرحمانية ، وأنّه الامام<sup>(ع)</sup> يعتزّ به كل شجاع أبي ، فلا بد للقوة الشعرية أن تسير في ظله الامام

(ع) فلم ير ابن أبي الحديد سوى مدح هذه القوة حيث يقول في قصيدة :

رميـت أبـاسـفـيـانـ مـنـهـاـ بـجـهـفـلـ إـذـاـ قـبـسـ عـدـاـ بـالـشـرـىـ كـانـ أـكـثـرـ أـكـثـرـاـ<sup>(٦)</sup>

فتجد مظاهر القوة والقدرة في الكلام بادية أولاً : انه الامام علي<sup>(ع)</sup> رمى أباسفيان

١- الروضة المختارة - صالح علي الصالح ، ص ١٤٣ .

٢- أيضاً ، ص ١٣٢ .

٣- أيضاً ، ص ١٠٩ .

٤- أيضاً ، ص ١٠٠ .

٥- أيضاً ، ص ١٥٨ .

٦- أيضاً ، ص ١٠٣ .

بالجحفل ، والجحفل الجيش العظيم ، وانه لم يقل رماه بالرمي أو السهم ، فإن الطاغية أبأسفيان كان قائداً للكفر فلا يُرمى بسهم أو رمي ، فمن أجل دحر الفساد لا بد من قوة عظيمة فأتي بالجحفل . ثانياً : إن هذا الجيش العظيم لا يُخصى له عدد بل هو أكثر بكثير من الرمل واللحمى ، وفي النهاية يقضي عليه قضاءً تاماً حيث يقول :

وأعطى يَدَاهُ لِمَ يُعْطِيهَا عَنْ مُحَبَّةٍ  
وقولَ هَدِيَ ما قَالَهُ مُتَخِّرًا<sup>(١)</sup>

ثم إن ابن أبي الحديد لا يكتفى باستسلام إبي سفيان فقط بل يتجاوز إلى جميع الكفار وقبائل الشرك قائلاً :

وأطْهَرَتْ نَوْرَ اللَّهِ بَيْنَ قِبَائِلِ  
مِنَ النَّاسِ لَنْ يَرِعَ بِهَا الشَّرُكُ تَبَرُّ<sup>(٢)</sup>

وَكَسَّرَتْ أَصْنَامَ طَغَتَ حَاهِئًا  
بُشِّرَ الْوَشِيجُ اللَّدُنُ حَتَّى تَكُسُّرًا<sup>(٣)</sup>

ونعود ثانية إلى ابن أبي الحديد فنقول إن لكل شاعر قدرةً بالغة في بيان أحد الأغراض والفنون الشعرية ، فمنهم من يكون هجاءً ومنهم من يكون مدحًاً ومنهم من يكون وصفاً . . . والوصف أَمَا أن يكون للخيال أو مناظر الربيع أو سوح القتال ، واتني أرى ابن أبي الحديد قد برع وبذل في وصف مشاهد الحروب للإمام علي<sup>(ع)</sup> فتارة ينظر إليها من وسط المعركة ، وأخرى يخلق في سمائها ، ومرة كأنه يقاتل بين يديه وهو من أحد كبار قواد الإمام علي<sup>(ع)</sup> الذي فرض إليهم تصوير المعركة ، فترى ابن أبي الحديد الْحَذَنَ الإِسْتَعْدَادَ التَّامَ وَجَهَرَ نَفْسَهُ بِسَلَاحِ الْأَدْبِ وَالْكَلَامِ ، وبسانه الذي هو كالسيف القاطع في البيان ومضي يطبع أوامر قائده ومولاه الإمام علي<sup>(ع)</sup> ، فجاء الوصف دقيقاً شاملًا كما يصوّره الفنان اليوم بآلة التصوير ، فالشجاعة طافت في أرجاء شعره واتسمّ بما وكأنك تجد صور المعركة في خير ماثلة أمامك حيث يقول :

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضَّلَّ خَتَامِهَا  
وَكُلُّ عَزِيزٍ غَالِبٍ اللَّهُ مَغْلُوبٌ

رَمَاهَا بِجَيْشٍ بِمَلَأِ الْأَرْضِ فَوْقَهُ  
رَوَاقٌ مِنَ النَّصْرِ الْإِلَهِيِّ مَضْرُوبٌ<sup>(٤)</sup>

فمشيئه الله ترمي خير بجيشه جرار منصور من قبل الله سبحانه ، وإن قائد هذا الجيش هو أمير المؤمنين الإمام علي<sup>(ع)</sup> حيث يقول :

-١- أيضاً ، ص ١٠٣ .

-٢- أيضاً ، ص ١٠٤ .

-٣- أيضاً ، ص ١٠٥ .

-٤- أيضاً ، ص ٨٨ .

عليه أمير المؤمنين زعيمه

وقاده نسر المفارة والذيب<sup>(١)</sup>

وإن هذا البطل الصنديد صب على خير سوط عذاب وغادرها ولم يتق بها إلاً أصوات اليوم  
مكيناً عن الخراب والدمار الذيخلفه الحرب ، وكما قلنا أن هذا الجيش أيضاً كقائد الامام (ع)  
حيث يقول فيهم ابن أبي الحديد :

ومن صوب آذى الدماء شأيب<sup>(٢)</sup>

بما من زماجر الرجال صواعق

فالرجال هؤلاء شجعان لهم أصوات كالصواعق تنزل على رؤوس الأعداء ، ثم يصور الجانب الآخر من المعركة حيث ترى القتلى معصبين بالسيوف في همامهم ، وأخيراً يقول ليس للشمس طاقة أن ترى هذه الشجاعة بغضاً وحسداً ، حيث يقول:-

وكمن عاصب بالعصب هامش ضحى

وأم نمس إلا وهو بالعصب معصوب<sup>(٣)</sup>

هذا ونراه في قصيدة أخرى يلتقط الصور من سماء المعركة ، فله السيطرة التامة على ساحة القتال ، فتراه يصف مشاهد المسيرة الأصلية التي تسير بسرعة نحو العدو ، وكذلك يرى كمين أمير المؤمنين الامام علي (ع) حيث يقول :

يؤمُّ وركونُ الفتيخ يلتمس

بيتُ على أعلى المصاد كأنما

ويستمر في هذا الوصف حتى يقول : ويسبق رجع الطرف شدّاً إذا جرى ، وأخرى يعود إلى الأرض ويشير إلى اختلاف ألوان الخيول ويشبهها بالروض ، وكيف ان الفارس أخذ زمامها وهو يتخيّر كبرباء ، وكل هذه المشاهد تصف شجاعة الامام علي (ع) تم يشير إلى كيفية إدخال الرعب في قلوب الأعداء ، وأرى جمالاً في الكلام عند ابن أبي الحديد حينما يقول :

بكفك أهدى في الرؤوس من الكري<sup>(٤)</sup>

يُلدِّيه رأى النببي وصارم

حيث جمع بين الرأى الحازم والسيف القاطع اللتين يحتاج اليهما الشجاع في ساحة القتال ، فالرأى يخطط والسيف يقع وأحدهما يكمل الآخر ، صورة بدعة جداً ، ثم يصور مشاهد النصر

-١- أيضاً ، ص ٨٩ .

-٢- أيضاً ، ص ٩٠ .

-٣- أيضاً ، ص ٩١ .

-٤- أيضاً ، ص ١٠١ .

-٥- أيضاً ، ص ١٠٣ .

فلا يرى للعدو إلّا الذل والإستسلام حيث يقول :

فطار إلى أعلى السماء تصاعدأً  
فلما رأى أن لإنجاهة تحذراً<sup>(١)</sup>  
ثم انه يشير إلى مشاهد شريفة أخرى ، وأخيراً إلى ذكر فضائل هذا الشجاع البطل العظيم  
ذاكراً خصاله الدينية ، وانه الإمام علي (ع) مظهر الإيمان ، بعيد عن الشرك والتفاق حيث يقول  
فيه :

ولا كان معزولاً غداة براءة<sup>(٢)</sup>  
ولا عن صلة أم فيها مؤخراً

### المعاني المبتكرة

ثم يشير إلى فضائله (ع) التي نطق بها القرآن الكريم وسارت بها الركبان من سورة هل أتى على الإنسان . . . إلى الإستعانة بالحديث الشريف وذكر حديث رَدَ الشمس والكساء . . .  
هذا ولا بد أن نقول إن السر في بقاء هذه القصائد العلويات السبع واشتهرها بين الجامع الأدبية من دون بقية قصائده ، هو احتمال استوفت جميع عناصر الأدب من عاطفة وخيال ومعاني مبتكرة واسلوب رشيق ، فاؤد أن أشير هنا إلى بعض المعاني الجميلة المبتكرة.

١- فراق الحبيب وذوالفقار ، حيث يقول:

لأشيء أقطع من نوى الأحباب سيف الوصي كلامها فتاك<sup>(٣)</sup>  
فمن المعروف ان الفراق من أشد الصعوبات التي يعانيها الإنسان في حياته ، وإن هذا المعنى سارٍ على لسان الشعراء ، ولكن قلما يجد شاعراً يجمع بين فراق الأحبة وسيف ذي الفقار ، كما قام به ابن أبي الحديد ، ولو جاءت كلمة ((أفطع)) في البيت لكان أنساب .

٢- علامة الحب ، حيث يقول:

يصفُ وجهي حين أنظرُ وجههُ  
خوفاً فيدركُهُ الحياةُ فيخرجُ<sup>(٤)</sup>

-١- أيضاً ، ص ١٠٣ .

-٢- أيضاً ، ص ١٠٨ .

-٣- أيضاً ، ص ١١١ .

-٤- أيضاً ، ص ١٤٩ .

فَكَانَتْ إِلَيْهَا مِنْ حُمْرَةٍ ظَلَّتْ إِلَيْهَا مِنْ ذَمِيَّةٍ تَحْوِلُ<sup>(١)</sup>

فالصفرة علامة الخوف والحرمة علامة الخجل ، والشاعر يتصور أن دمه انتقل من جسمه ( فاصرف لونه ) إلى محبوبه فاحمر لونه من الحب ، فالمعنى تجده جديداً .

-٣- الحب و الدين، حيث يقول:

إِنْ كَانَ دِينُ مُحَمَّدٍ فِيهِ الْهُدَى حَقّاً فَحُبُّكَ بَابَةُ الْمَدْخَلِ<sup>(٢)</sup>

فلم تر أحداً من الشعراء نطق بهذا المعنى ، وإن وجد عند بعضهم فهم يعتقدون بالأصابع .

### عنصر العاطفة

وإلى جانب هذه المعاني تجد العواطف الصادقة منتشرة في رياض كلامه ، تشير الإحساس بالجمال والتأثير والإنتطاف لدى المستمع أو القاريء ، فانظر إلى كلامه في الحب والفضيحة حيث يقول :

لَا هَتَكَنَّ عَلَى الْهُوَى سَرَّ الْخَيَا إِنَّ الْفَضِيحةَ فِي الْمُحْبَةِ أَجَلٌ<sup>(٣)</sup>

فاته قد مارس الحب في حياته ولمسه لمس اليدين فلا يهاب الإفتضاح على رؤوس الإشهاد ولم يكن في كلامه أي تظاهر وتصنع ، ثم إنظر إلى صدق عاطفته في قوله :

لَا فَرَخَ الرَّحْمُ كَرِيَّةٌ عَاشِقٌ طَلَبَ السَّلُو وَخَابَ فِيمَا

فالعاشق للحق لا ينفك عن حبه للمحبوب أبداً ، واته في كلامه هذا يدعو ويطلب من

الباريء عدم استجابة دعاء الحب ، ثم انظر إلى جمال الصبر في قوله :

الصَّابِرُ إِلَّا فِي فِرَاقِكَ يَحْمَلُ وَالصَّعْبُ إِلَّا عَنْ مَلَكَ يَسْهَلُ<sup>(٤)</sup>

فالصبر جيل في الأمور كلها ولكنك زائل في فراقك ، فالعاطفة صادقة سليمة بعيدة عن المراوغة والتملق ، وزarah يقول في موطن آخر :

-١- أيضاً ، ص ١٤٩ .

-٢- أيضاً ، ص ١٥٦ .

-٣- أيضاً ، ص ١٤٩ .

-٤- أيضاً ، ص ١٥٠ .

-٥- أيضاً ، ص ١٤٨ .

فيارب بعضاها إلى كل عاشقٍ  
سواء وفتحها إلى كل ناظرٍ<sup>(١)</sup>

ثم عواطفة تتسم بالحرارة فتجد هذا المعنى في البيت التالي :

لله دُرُكُ والضَّلَالُ يَقْوُدُنِي  
بيد الْهُوَى فَأَنَا الْحَرُونُ فَاتِبْعُ<sup>(٢)</sup>

وتجد نار الشوق مشتعلة في قلبه حيث يقول :

أَهْوَاكَ حَتَّىٰ فِي حَشَاشَةِ مُهْجَتِي  
نَازِّ تَشَبُّثُ عَلَىٰ هَوَاكَ وَتَلْذِعُ<sup>(٣)</sup>

### عنصر الخيال

فإنك تجد الحياة فيه جارية ، ثم يرى ابن أبي الحديد ما لا يراه الناس فيقول :

غُجُّ بِالْغَرَبِيِّ عَلَىٰ ضَرِيعِ حَوْلَةٍ  
نَادِي لِإِمَلاِكِ السَّمَاءِ وَمَحْفَلٌ<sup>(٤)</sup>

فروءية النادي للملائكة لم تكن بالعين المجردة وإنما يرى الأديب هذا النادي عن طريق إبصار الخيال فيري الملائكة حافين حول ضريح الامام علي (ع) فمنهم المسبّح ومنهم المقدس ومنهم المهلل ومنهم المكبر و . . .

وخياله قائم على أصول الإستعارة البلاغية فتراه يقول :

وَالْبَيْضُ تُورَدُ فِي الْوَرِيدِ فَرَزَّوِي  
وَالسُّمْرُ تُشَرِّغُ فِي الْوَتَنِ فَتَشَرِّغُ<sup>(٥)</sup>

وأنما أن يكون قائماً على التشبيه حيث يقول :

وَالسَّابِقَاتُ الْلَّهَاقَاتُ كَأَمْمًا  
الْعَقْبَانُ تَرَدِي فِي الشَّكَبِ وَتَرَعِ<sup>(٦)</sup>

### الاسلوب

هذا والله سلك في هذه القصائد مسلك الغزل الذي عمل به الأقدمون وأسلوبه في ذلك جزل

-١- أيضاً ، ص ١٢١ .

-٢- أيضاً ، ص ١٣٤ .

-٣- أيضاً ، ص ١٤٣ .

-٤- أيضاً ، ص ١٥١ .

-٥- أيضاً ، ص ١٣٥ .

-٦- أيضاً ، ص ١٣٥ .

وألفاظه رشيقه و . . ففيها روعة وجمال وصور بدعة فنعم الغزل غزل ابن أبي الحديد .

### خاتمة المطاف

أن مدحه للإمام علي(ع) آية ، بل آيات في البلاغة والبيان ، فالصور الإستعارية مرتكزة على الحقائق دون المبالغة، ويتملك من الفصاحة زمامها ، ومن الأفكار بكرها ، وأن الكلمات والألفاظ طوع يده ، وبيانه آيات محكمات ملوءة بالعواطف الصادقة ، تأتي في ظل أسلوب رصين وكلام بلين .

\*\*\*

## الدرس السادس

### رحلة مع العنقاء – ايليا ابو ماضي

أولاً: ايليا أبو ماضي في سطور { ولد سنة ١٨٨٩ في أحدي قرى لبنان. توفي في المهجر عام ١٩٥٨ . هاجر إلى مصر سنة ١٩٠٠ . قصد الولايات المتحدة سنة ١٩١١ ، وقام في سناني، وانتقل إلى نيويورك سنة ١٩٢٦ ، ليعمل أديباً. أنشأ سنة ١٩٢٩ جريدة السمير بنبيورك. أول ما قرض الشعر سنة ١٩٠٣ و كان في الرابعة عشرة من عمره. عام ١٩٤٨ دعته الحكومة اللبنانية مثلاً لصحافة المهجر في مؤتمر اليونسكو الذي عقد في بيروت ما بين ١١-١٧ و ١١-١٢ . لم تكن حياة أبي ماضي كلها سعادة و هناء و لكنها كانت حياة متراجحة بين السعادة حيناً و الشقاء حيناً آخر . كانت الصحافة لا النظم العمل المهجري لاييليا ظاهر أبي ماضي (١٨٨٩ - ١٩٠٧ ) اليومي و مهنته التي كسب منها قوته و قوت أسرته لمدة متواصلة تزيد على أربعين سنة (١) . طبع له ديوان في الاسكندرية سنة ١٩١١ باسم تذكار الماضي ، وفي سنة ١٩١٦ نشر له الجزء الثاني ، وفي عام ١٩٢٧ نشر له ديوان الجداول ، وفي سنة ١٩٤٦ طبع له ديوان (٢) و (كان لاييليا أبي ماضي أوطان أربعة، (لبنان موطن طفولته، مصر موطن شبابه، وأوهايو موطن تتفقهه، ونيويورك موطن عمله) (٣) .

ثانياً : امير الشعراء

- ايليا ابو ماضي دراسات - جورج سليم - ص ١٢ و ١٧٦ وما بعدها .

- درس اللغة و الادب - محمد محمدی - ص ١٦١ - ١٩٢ ، بتصرف .

- ايليا ابو ماضي - شاعر السؤال و الجمال - ص ٨٣ .

هذا ما أطلقه كبير شعراء بلاد النهرین أَحمد الصافى النجفی على الشاعر ابليا أبو ماضی، لانه حقاً كان شاعر الجمال، و صاف للطبيعة الحسناء، و انه شاعر القيم والأخلاق الفاضلة، انه شاعر الانسانية، انه صاحب رسالة للمجتمع و الوطن، انه شاعر السياسة، انه شاعر التأمل، انه مؤمن بالله حيث يقول:

(آمنت بالله و آياته      ليس ان الله باريها) (١)

ثالثاً : اسلوبه و المناسبة

ثم انه اسلوبه يتميز بوحدة النسيج، و انه صاحب مدرسة التأمل، كما صرّح بذلك عبد الطيف شراة، و انه شاعر مثالي، و انه صاحب عواطف جياشة، كما صرّح بذلك خليل برهومي، و انه... و انه... .

يقول جورج صيدح: (المناسبة عند شاعر كابيلا أبي ماضي لا تخلق الأفكار و الخواطر، بل تهيء لها فرصة للظهور، و ائن لتقرأ قصائد المناسبات في ديوانه فتشعر انه غمر المناسبة و سما فوقها لان روحه تحركت بالهام صادر من النفس لا من خارجها). (٢) و يقول طالب زكي طالب: (اهتم ابو ماضي بالحوار الذي قام بدور كبير في قصيدة حتى اتنا نستطيع ان نؤكد بأنه يشكل قاسما مشتركا في اکثرها وانتا قلما قرأتنا قصيدة من قصائده دون ان نجد الحوار في اساسها، والحوار اغنى العنصر القصصي في شعر ابي ماضي وحياته التقرير التعليمي، وحقق له الوحدة العضوية النامية التي كانت مطلبا هاما من مطالب الفن عند شاعرنا، وفي حواره ، ووضوح في الافكار ، وسلامة في الالفاظ واللغة). (٣)

رابعاً : قصيدة العنقاء في ميزان النقد

تنقسم القصيدة الى المشاهد التالية:

المشهد الأول، الرحلة السماوية:

هي مطمئنة الدنيا كما هي مطمئنة

١- أنا لست بالحسناء أول مولعٍ

١- ابليا ابو ماضي - عبد اللطيف شراة - ص ١٧.

٢- ابليا ابو ماضي - جورج ديميتري - ص ١٩١.

٣- ابليا ابو ماضي - عبد اللطيف شراة - ص ٤١.

- واسكن اذا حديث عنها واخش  
٢- فاقصص على اذا عرفت حدتها
- في حالة؟ أرأيتها في موضع؟  
٣- المحتها في صورة؟ أشهد لها
- جميلة فوق الجمال الأبدع  
٤- إني لذو نفس تحيم وإنما
- كالصوت لم يسفر ولم يتفق  
٥- ويزيد في شوقى اليها إنما
- ومددت حتى للكواكب إصبعي  
٦- فتشتت جيب الفجر عنها والدجى
- في عاشق متغير متضعضع  
٧- فإذا هما متحيران كلامها
- متدرجات في الفضاء الأوسع  
٨- وإذا النجوم لعلها أو جهلها
- وعلى رجائ في غير مشعشع  
٩- رقصت أشعتها على سطح الدجى
- المشهد الثاني: الرحلة البحريّة**
- في هذا المشهد يتلقى السامع أو القارئ عنصر الاستغراب ، حيث الهبوط المفاجأ الذي لم يخطر على بال أحد إلا الأديب الماهر ، كما نرى في المشهد التالي :
- أمواج من صوتي المتقطع  
١٠- البحركم سائله فتضاحكت
- كحمام محمولة في زعزع  
١١- فرجعت مرتعش الخواطر والمنى

في الشطّ تضحك كلّها من مرجعى

## ١٢ - وَكَانَ أَشْبَاحُ الدَّهْرِ تَأْلِبَتْ

### **المشهد الثالث : الرحلة الارضية**

على خلاف المشهد السابق ، فالخروج من البحر و السير على الأرض أمرٌ طبيعي .

## عنها وعُجَّتْ بِدَارَسَاتِ الْأَرْبَعِ

او رن صوت قُلْتُ يا أذن اسماعي

وإذا الذي في القصر مثلى لايعدى

الْأَعْنَانِ الْمُتَزَهَّدِ الْمَوْرِعِ

ونسخت آیات الهوی من أصلعی

وعفتُ عن زادي ولم أشع

## فوجدت أني قد دنوت لمصرعي

**لَا أطعُهُمْ وَلَمْ أَتَنْعِمْ**

قَلْبِيْ وَلَا ظَفَرَ مَنْ لَمْ يَطْمَعُ

المشهد الرابع: نصائح

## ١٦- قالوا: تورع إِنَّهَا مُحْبَّةٌ

١٧ - فوادث أفراحي وطلقت المني

## ۱۸- وحطمَتْ أقداحي ولمَا ارتو

١٩ - وحسبتني أرزو إليها مسرعاً

## ٢٠ - ما كان أجهل نصحي وأضلني

## المشهد الخامس : التجدد

٢٢ - فکانی البستان جرد نفشه

- ٢٣- ليحسُّ نور الشمسِ في ذرّاته  
و يقابلَ النسماتِ غيرِ مفزعٍ
- ٢٤- فمشيٌ عليه من الخريف سُرادقُ  
كالليلِ خيمَ في المكانِ البلقِ
- ٢٥- وكأني العصفورُ عرسَ جسمةٍ  
من ريشِه المتتسقِ المتلائمِ
- ٢٦- ليخفَّ محملُه فخرَ إلى الشري  
وسطاً عليه النملُ غيرِ مرّوعٍ
- ٢٧- وهجعتْ أحسبُ أئمَّا بنتَ الرؤى  
فصحوتْ أسرخُ بالنیامِ المجنعِ
- ٢٨- ليست حبوراً كلها دُنيا الكري  
كم مؤلمٍ فيها بجانبِ مفزعٍ
- ٢٩- تخفي أمالِي الفتى كھومَهِ  
عنَّهُ وتحجبُ ذاتَهُ في بُرقِعٍ
- ٣٠- ولرقةِ التبسِت حوادثُ يومِهِ  
بالغابِ الماضيِ وبالمتوّقعِ
- ٣١- لما حلمتْ بها حلمتْ بزهرةٍ  
لأجتنبي وبنجمةٍ لم تطلعِ
- ٣٢- يا حبذا شططاً الخيال وإنما  
ئُمحى مشاهدةً كأنَّ لم تطبعِ
- ٣٣- ثم اتبهتْ فلم أجده في مخدعي  
إلا ضلالِ والفراشِ ومخدعي

قطع الحياة بغلة لم تنفع

### ٣٤- مَنْ كَانَ يَشْرَبُ مِنْ جَدَافِلْ وَهُمْ

الشادي ولا الروض الاغن الممرّع

المشهد الاخير: الفصول الاربعة

الباكي ولا في رعده المتجمّع

٣٦- وأتى الشتاءُ فلم تكن في غيمه

فيها فلم تُك في البروق اللّمع

## ٣٧ - لمحٌ وامضَةُ البرُوقِ فخلْتها

لمع فظننتُ أنّها فيها وفي ضوئها اللامع

## ٣٨- نظرت الى البرق لما

وأضليّ منها ذكاءً اللمعي

٣٩ - صفت يدي منها وفي طيش الفتى

## فوقی غیبی و غیب موضعی

٤٠ - حتى إذا نشرَ القنوطُ ضبابةً

وهي التي من قبل لم تقطع

#### ٤- وقطعَتْ أمراضُ آمالي بـ

## فلمحْتُهَا ولمسَتُهَا في أدمعي

رسالة الأديب

إِنَّ الَّتِي ضَيَّعْتُهَا كَانَتْ مَعِيٌّ<sup>(١)</sup>

٤٣ - وعلمت حين العلم لا يجدي الفتوى

<sup>١</sup>- ديوان ايليا ابو ماضي - ص ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ايضاً عند عبد اللطيف شرارة ص ٦٧ و ما بعدها و جاءت ايضاً عند خليل برهومي ص ١٢١ و ما بعدها .

## التحليل النبدي

كتب جرجس يوسف في جريدة الحاصل العراقي يقول: ( لا يأخذك العجب و الطرب في شاعرية ايليا، أو يروعك منه وصفه و عاطفته و وجده و خياله فحسب، انه فوق ذلك حكيم و فيلسوف عظيم )<sup>(١)</sup>.

تنقسم القصيدة الى سبعة مقاطع حيث الرحلة السماوية و البحرية و الأرضية و الاستعانة بالنصائح و الارشادات و ذكر عالم النوم و الفصول الأربع و أخيراً يذكر رسالة الأديب، وبالرحلات الثلاثة و الفصول الأربع و الاستعانة بالنصائح و الدخول الى عالم النوم و الخوض في مسؤولية الشاعر ما هي إلا الحياة و الحركة و النشاط.

## عناصر الأدب

### أولاً: العاطفة

يقول طالب ركي طالب: ( ان حاولنا دراسة شعر اي ماضي فاننا نجد اغلب شعره يصدر عن عاطفة قوية واحساس مرهف صادق وشعور لا يعرف الكذب والرياء .....).<sup>(٢)</sup>  
هذا وتجلى عنصر العاطفة منذ اللحظة الاولى في كلام الشاعر وحتى نهاية القصيدة، فايديما تذهب تر ظلال العاطفة ، من حب وشوق ففي البيت الأول:  
أنا لست بالحسنة أول مولى  
هي مطعم الدنيا كما هي مطمعي

فلا يكتفي باظهار حبه اليها عن طريق الولع وشدة الشوق فقط بل تجاوز الحد الى الطمع فيها ، ثم يبسط هذا الشوق ويحاول التعرف عليها ويطلب الاخرين ان يزودوه بما عندهم من المعلومات عنها، ويطلب منهم البيان عن حالها بكل خضوع واستسلام، لما فيها من قدسية وشرفه حيث يقول:

واسكن إذا حدثت عنها واخشع  
فاقتصر علىي إذا عرفت حديثها

<sup>١</sup>- ايليا ابو ماضي - عبد الطيف شراة - ص 41.

<sup>٢</sup>- ايليا ابو ماضي - طالب ركي طالب - ص ٢٢٦.

هكذا يستمر الشاعر في كلامه غير متمالك الصيرلسسه، فبمجرد أن تحركت شفاه أصحابه عنها اشتعل الحب ناراً فيه، فبدأ بتوالي الأسئلة واحدةً تلو الأخرى من دون اصطبار وأكتشاف للحقيقة، فهي حالة تبين غاية الاشتياق من الحب إلى الحبوب ، ويعمل هذا الأمر بأنّها جميلة بل هي ملكة الجمال. ثم يذكر علةً أخرى لحبه إليها ، لأنّها تدرك بالسمع دون البصر ، مستورة آمنة ، ثم يستمر في حديثه قائلاً آيساً من أصحابه، لابدّ من المبادرة إليها بنفسه ، وبذل السعي للوصول إليها ، فبدأ برحلته الفضائية ، فالشوق هو العامل المحرّك الذي جعله يبحث عنها صباح مساء، حتى وصل به الأمر إلى زيارة الكواكب في السماء، فوجد الأمر مشابهاً حاله كما جاء في المثل: كل إباء بما فيه ينصح، فالكلّ حيران ، والكلّ خاضع، والنجمون سكري مضطربة في شوقيها إلى الحبوب، ثم يرجع إلى المشهد الثاني الذي صور فيه اليأس وعندها هبط فجأة من السماء إلى البحر، وهنا نواجه عنصر المبالغة الذي يظهر السخرية والاستهزاء به من قبل أمواج البحر ، وقد تخلّى عنصر الخوف في نبرات صوته الذي ينبع عن اشتياقه للمحظوظ.

ثم انظر إلى اسلوب التعجب كما في الآيات (١٥،٨،٧) (حيث استخدم الاداة ( اذا ) الفجائية التي تثير التعجب لدى القاريء و السامع فتجعله يتتبّه أكثر ، و هكذا نراه يستعمل صيغة التعجب في البيت ٢٠ و يلوم فيها أصدقائه الجهل. فاسلوب التعجب يجلب الاهتمام و التوجه و التتحي عن الغفلة.

### مشهد رائع

سرعان ما نشاهد امتراج العاطفة بالصورة، فتشكل لنا أروع منظر، ألا وهو ارتعاش الضمير، الخواطر، الأماني، التي تنبع من العاطفة إلى جانبها الصورة الحسية: الحمامنة الطائرة في جوّ عاصف تبغي الرجوع إلى عشّها، كيف ترفرف بجناحيها، وتبذل أقصى طاقتها وتقاوم الريح الشديدة حتى تصل إلى هدفها، فقد نجح الشاعر في تبيان شدة خوفه (العاطفة) حتياً عن طريق الحمامنة(الخيال)، فأكرم بها من مجال وإبداع.

ثم نراه يعرج إلى المشهد الثالث ، وتبداً الرحلة الأرضية معللاً حركته هذه بأنه ما قام بهذه

الرحلات إلا لأجل الأهل والأصدقاء أو لنفسه. وإنّه يتحمل المشاق في سبيل التعرّف على الحبيبة و ما أعظمّه من مشهد ، فكّلما كان العذاب أكثر كان الحبّ أعزّب ، وبناءً على هذا فإنّه يتّرّصد للأنوار والأصوات بكلّ دقة ولكن باءت مساعيه بالفشل ، لأنّ الذين ثغر عليهم يشبهونه في الصّلال والحرّة في القصور والقفار (المدن والقرى) ، وما يزيد الطين بلة أَنْ هُم لا يدركون شيئاً من شدّة الحرّة ، وهذا إنّ دلّ على شيء فإنّه يدلّ على متّه بالحبّ ، وكما جاء في المثل المعروف: صاحبُ الحاجة أعمى لا يدرك إلا قصائصها، وإنّ هذا الامر بين في قوله:

فإذا الذي في القصر مثلي حائر  
وإذا الذي في القصر مثلي حائر

#### واما المشهد الرابع

فيبدأ تظاهر عليه إمارات اليأس بعد ما سعى ذلك السعي و بذل من الجهد ما بذل ، فالامارة الأولى لليلأس هي التّجنب والابتعاد عنها ، لأنّه ليس أهلاً لها ، فلّمَا سمع ما سمع ، ارتسّت آثار اليأس في نفسه ، فقتل الأفراح والمسرات و طلق الأمانة والأمال و محى الهوى و الحبّ عن القلب . ثم تبدوا امارات الغضب في أعماله و سلوكه ، من كسر الأقداح والأواني و الإضراب عن الأكل والشرب ، لأنّه لم يبلغ المدف المنشود .

و بلغ به اليأس إلى الموت ، حيث يقول: فوجدت اتي قد دونت لمصرعي ، ثم يلوم نفسه على اتخاذ أصدقاء جهلاء ، و يتّمادي الشاعر في غضبه ، فهو ينصرف عن الطّمع في الهوى و يستدرك كلامه ب (ولا ظفر لمن لم يطعم) .

#### اما المشهد الخامس

فالتجدد من رخاف الدّنيا و ميل النفس إلى البساطة في العيش أمر فطري ، فهو يتّمني أن يكون أولاً هو البستان الذي تجرد عن أوراقه و أزهاره العطرة ، حتى يشعر بنور الشمس مباشرة ، و يلمس نسيم الصّباح ، و لكن هذا الأمل سرعان ما يزول بمجيء الخريف مع خيمته المظلمة ، و يعني ثانياً أن يكون هو العصفور الذي تخلى عن ريشه الجميل اللامع ، حتى يخفّ ثقله ، و لكن سرعان ما باه بالفشل و سقط أرضاً و اجتمعـت عليه النمل من كلّ جانب .

### اما المشهد السادس

فيتمنى أن يحلم بما في عالم الرؤيا بعد ما أليس من رؤيتها في عالم الشهود و لكنه سرعان ما يتتبه إلى زيف هذا العالم، حيث يقول: فصحوت أسرخ بالنيام المجنع، ثم يتدارك الموقف قائلاً إن عالم الرؤيا ليس جميعه بباطل ، فاحياناً الرؤيا تكون صادقةً و أخرى كاذبةً ، و تارةً فيها مسحة و أخرى فيها مضرّة كما صرّح بذلك القرآن الكريم ، قوله تعالى : قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي الحسنين (الصافات/ ١٠٥) ، و قوله تعالى : قالوا أضغاث أحلام (يوسف / ٤٤).

و مرة أخرى يمزج الشاعر الصورة بالعاطفة في قوله:

تحفى أمانى الفتى كهمومه عنده و تحجب ذاته في برقم

فاليس ظاهرة نفسية تختفي أحياناً و لم يعلم بما أحد إلا الله، فاليس من الآمال يشبة ظاهرة المموم النفسية الخافية على الجميع.

### بلغ المستحيل

و في عالم الرؤيا وصل إليها (الحسنة) ولكن كان الأمر مستحيلاً، حيث صعد الشاعر المشاعر(و نقصد بها العنصر العاطفي) الذي ظهر عن طريق المستحيل، فالنفس ترغب عادةً إلى الأشياء الغير المترابطة بين الناس ، فترتيد الشوق إليها ، فالحلم أحياناً مستحيل تتحققه ، و أكثر استحالة منه الزهرة التي لا يمكن اقتطافها، و هكذا الأمر بالنسبة إلى نجمة لم تشرق لحد الآن ، و يستدرك الشاعر الموقف بزوال الرؤيا و كأنما لم تكن شيئاً مذكورة، فالألحاد ضلال في ضلال ولم تكن لها حقيقة إلا القليل منها.

و أما المشهد الأخير: فالسنون ماضية ، و الفصول متعاقبة ، من حرّ و برد و اعتدال ، و رعد و برق و أمطار و سيول ، فلم تكن الحسنة موجودة ، ثم تنعدم ثانيةً حيث يقول : (صرفت يدي) و مهما كانت له قوة و ذكاء، فإنه دخل إلى عالم اليأس، و غاب فيه، فلا أمل له بعدها لم تكن تقطع حبال أمله، ففي أقصى اليأس يتجلّى الأمل الذي ظهر بشكل الأسى تارةً ، و

بشكل الدموع أخرى ، و في أجمل معنى ، و نختتم حديثنا بقول الله تعالى: و لا تيأسوا من روح الله اتَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (يوسف/٨٧).

### ثانياً: الاسلوب

رصين حكم ، الكلام و اوضح المعالم و المعاني ، خالي عن التعقيد اللغظي ، سلسة سهلة يعتمد على الحسن ، سواءً الذي يصوّره أو الذي أدركه مع تجارب صادقة.

ويرى طالب زكي طالب:(..ان الناظر في شعر اي ماضي يدرك انه كان يحسن اختيار الالفاظ ؛ فهي قوية في مجال القوة ؛ سلسة ناعمة في مقام الشوق والهيم والرقه وباهرة زاهرة في الحديث عن الطبيعة وجمالها؛ وضبابية تثير الشك عن الوجود والغيبيات). (١)

ثم اتّخذ من اسلوب الاستفهام منطلاقاً لمشاعره الحارة ، خاصةً في البيت الثالث ، و عاود هذا الاسلوب في البيت العاشر الذي استخدم فيه كلمتي (سائلته + فتضاحكت) ليدلّ على المشاركة ، و بيان شدة اشتياقه للبحث عن الحبيبة.

### ثالثاً: أثر القرآن

لقد قام الدكتور عبد الصبور شاهين قبل عدة اعوام باحصاء المفردات القرآنية المستعملة في اللغة العربية المعاصرة فوجد ان أكثر من ٦٨٠% من المفردات القرآنية هي الغالبة على اللغة العربية السائدة اليوم ، وهي مستعملة من قبل المسلمين وغيرهم من لهم الأفكار المادية مثل الاشتراكية والوجودية والشيوعية و ... .

هذا من جانب و من جانب آخر لقد أظل القرآن الكريم بفيئه على الأدب بصورة خاصة و مما لا شك فيه ان الأدباء استقوا من معينه و ارتووا من منهله ، فالشاعر ايليا ابوماضي و إن كانت عقیدته غير اسلامية ويسلك مسلك الوجودية فإنك تراه في قصيده هذه متأثراً بهذا الكتاب العظيم فتجد المفاهيم القرآنية خاصة في البيتين (٦-١٧)، وانك لتجد مفردات الفرقان منتشرة في أرجائها أيضاً، ونشير هنا الى بعضها:

- ١ - كلمة (فأقصص) في البيت الثاني مقتبسة من قوله تعالى: فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (٧٦/الاعراف)، فالحكاية والقصة ترثاح لهما النفس وتزيل المموم وتوجد الشوق والرغبة في السعي، و... و...
- ٢ - كلمة (اسكن) في البيت الثاني ايضاً مقتبسة من قوله تعالى: قلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة (١٩/الاعراف)، آهـ السكينة والراحة والمدحـ والاستقرار والتسليمـ، فـما اعـظمـهـ منـ نـاظـرـ.
- ٣ - كلمة (اخشعـ) كذلك في البيت الثاني آهـ مقتبسة من قوله تعالى: ويزيدـهمـ خـشـوـعاـ، (١٠٩/الاسراءـ)، (ـ وـ قـيـلـ اـذـاـ ضـرـعـ الـقـلـبـ خـشـعـتـ الـجـوـارـ).
- ٤ - كلمة (لايعـيـ) في البيت (١٥) مقتبسة من قوله تعالى: ولنـجـعـلـهاـ لـكـمـ تـذـكـرـةـ وـتـعـيـهـاـ اـذـنـ وـاعـيـةـ ، (١٢/الحاقةـ).
- ٥ - كلمة (حـائـرـ) كذلك في البيت (١٥) تـشـبـهـ قولـهـ تـعـالـىـ: كـالـذـيـ استـهـوـتـ الشـيـاطـيـنـ فـيـ الـأـرـضـ حـيـرانـ ، (٧١/الانعامـ).
- ٦ - كلمة (وـادـتـ) في البيت (١٧) مقتبسة من قوله تعالى: واـذـ المـؤـدـةـ سـئـلتـ بـايـ ذـنـبـ قـتـلـتـ ، (٨/التـكـوـيرـ).
- ٧ - نـسـخـتـ آـيـاتـ ، فيـ الـبـيـتـ (١٧)ـ أـيـضاـ مـقـبـسـةـ منـ قولـهـ تـعـالـىـ: ماـ نـسـخـ منـ آـيـةـ أوـ نـسـهـاـ نـأـتـ بـخـيـرـ مـنـهـاـ (١٠٦/البـقرـةـ).
- ٨ - كلمة (الـغـابـرـ) فيـ الـبـيـتـ (٢٥)ـ مـقـبـسـةـ منـ قولـهـ تـعـالـىـ: فـانـجـيـناـهـ وـأـهـلـهـ آـلـ اـمـرـأـهـ كـانـتـ منـ الـغـابـرـينـ ، (٨٣/الـأـعـرـافـ).
- ٩ - عـبـارـةـ (فـلـمـ تـكـ)ـ فيـ الـبـيـتـ (٣٠)ـ مـقـبـسـةـ منـ قولـهـ تـعـالـىـ: قـالـتـ اـنـيـ يـكـونـ لـيـ غـلامـ وـلـمـ يـمـسـسـنـيـ بـشـرـ وـلـمـ اـكـ بـغـيـاـ (٢٠ـ مـرـيمـ).
- ثم انظر الى قوله في البيت (٢٦) .... يشير الى نجمة لم تشرق بعد، فـانـ هذاـ الكلامـ سـبقـ اليـ القرآنـ الـكـرـيمـ قـائـلاـ (والسماءـ بـنـيـناـهاـ بـأـيـدـ إـنـاـ لـمـوـسـعـونـ)ـ (٤٧/الـذـارـيـاتـ). فالسماءـ مـنـ الـبـداـيـةـ وـلـيـوـمـنـاـ هـذـاـ تـسـعـ وـتـضـافـ اليـهاـ نـجـومـ لمـ تـكـنـ منـ قـبـلـ. ثمـ انـ الشـاعـرـ اـسـتـعـمـلـ مـفـاهـيمـ قـرـآنـيـةـ أـخـرىـ

مثل (التسوّع والتزهّد ونسخ الآيات والضلال ...) وهذا يدلّ على تأثير القرآن على هذا الأديب.

## وقفة مع الكلمات

جئنا بهذا البيان لأجل الوقوف على أسرار بعض المفاهيم والمعاني للكلمات، لأنّ قدرة تحمل المعاني للكلمات متفاوتة ببعضها عن الآخر، فمنها ما تتحمل المعاني الكثيرة ومنها القليلة، أو تكون متداولة متفاوتة ولكنّها مختلفة فلننظر:

أولاً: جاءت الكلمتان (القصص و الحديث) في البيت الثاني، فما ترى ما الفرق بينهما؟ إعلم (إن القصص مكان طويلاً من الأحاديث متحداً به عن سلف و منه قوله تعالى: نحن نقصّ عليك أحسن القصص ، (٣/ يوسف)). وأصل القصص في العربية إتباع الشيء للشيء، ومنه قوله تعالى: وقالت لأخته قصيـه ، (١١/ قصص)، وسيأتي الطويل قصصاً لأنّ بعضه يتبع بعضاً حتى يطول، وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص.

(والحديث يكون عمن حضر ويكون طويلاً وقصيرًا، ويجوز أن يقال القصص هو الخير عن الأمور التي يتلو ببعضها بعضاً، والحديث يكون عن ذلك وعن غيره) (١).

ثانياً: لقد استعمل الشاعر في البيت الثالث الكلمات التالية: الصورة، الحالة، الموضع وهي ترمز إلى الأمكنة دون الأزمنة، فلا يهتم الشاعر بالزمان كاهتمامه بالمكان، وأنّ هذا المعنى يتضمن في أكثر الآيات ، حيث قام برحالة إلى السماء والى الأرض والى البحر والى الصحاري وأخيراً إلى وجوده حتى تم العثور على الحستناء، ثم لتنظر إلى الكلمات اللهم، المشاهدة، الرؤية، قال صاحب المفردات: (اللهم لمعان البرق ورأيته لحة البرق، قال تعالى: كلّم بالبصر...، وشهد: الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة أمّا بالبصر او بال بصيرة، وقد يقال للحضور مفرداً، قال: عالم الغيب والشهادة، لكن الشهود بالحضور المجرد أولى، والشهادة مع المشاهدة أولى.. والرؤية ادراك المرئي وذلك أضرب بحسب قوي النفس، والأول: بالحسنة وما يجري مجرها نحو (لترون الجحيم تم لتروها عين اليقين)... والثاني: بالوهم والتخيل نحو: أرى ان زيداً منطلق، وهو قوله:

لوترى اذ يتوفى الذين كفروا)، والثالث بالتفكير نحو: اتي أرى مالا ترون، والرابع: بالعقل وعلى ذلك قوله: ما كذب الفؤاد ما رأى). (١)

فانظر كيف توسيع الشاعر وتدرج في معنى الرؤية فمن النظرة الخاطفة الى الحضور المشاهدة والى أوسع ما يمكن رؤيته بطرق شتى من البصر والخيال والفكر والعقل، فحيى الله هذا الأديب بفتحه وأدبه، لما صبغه من جمال في التعبير.

**ثالثاً:** الكلمات (متضعضع - متراجعت - مشعشع) جاءت في البيتين (٨-٧) فانظر الى التضييف الموجود فيها فاما تضاعف الذلة والشدة والاضطراب التي تناسب حال الحبّ.

#### رابعاً: الصورة (الخيال الحي)

قال طالب زكي طالب: (اته أبو ماضي) كان يحاول الابتکار فيها (اي الصورة) والاتيان بالطراائف التي لا تقع الا للذهن الحال حتى غدا ديوانه معرضًا جيلاً من حللي الخيال الفيضة سواء رکز على وصف الطبيعة ومشاهدها أم مواقف النفس البشرية أم أحقر الأشياء ؛ فإنه يمثلها تمثيلاً حياً كائناً زراها أمام أعيننا ويعبر عن محاسنها الظاهرة ورموزها الخفية تعبرًا جيداً بدليعاً) (٢).

لقد أبدع هذا الفنان الشاعر صور مختلفة لطبيعة الانسان من دون أن يخوض في ساحة العلوم الإنسانية (علم النفس - الاجتماع...) بل اعتمدت على تجربته في الحياة فأكرم بهذا الابداع وأكرم بهذا الفنان القدير، والآن نشير الى بعض هذه الابداعات الجميلة فمنها.

#### ١ - صورة التسليم:

في البيت الثاني صور الشاعر بكلامه صورة للاستسلام، بحيث تجد المهدو في الجسم، والخشوع في الجوارح، وفيها شوق الى الاصغاء لقصص الحبوبة.

#### ٢ - فقدان الصبر:

في البيت الثالث تتوالي الأسئلة الثلاثة بلا صبر، فلن ولم ينتظر الاجابة بل استمر في أسئلته بلا اصطبار، ويبدو انه عجوز و مشتاق الى حبيته جداً كما هو ظاهر في البيت الرابع.

<sup>١</sup>- المفردات - الراغب الاصفهاني - ص ٤٥٤-٢٦٧-٢٠٩.

<sup>٢</sup>- ديوان ايليا ابو ماضي - طالب زكي طالب - ص ٢٤٧.

## ٣ - صورة الحبيبة:

لقد صورها في البيت الخامس بأنه يسمع صوتها فلا يراها وكأنها البيض المكنون.

## ٤ - صورة للقوة:

في البيت السادس بدأ بالتفتيش عنها صباح مساء، من دون اظهار العجز والملل والانزعاج، ومن جانب آخر ارسال يده حتى يمسك بها الكواكب، ماهي إلا قدرة عظيمة، فما أكرمها من قدرة.

## ٥ - صورة الخوف:

في البيت العاشر يصور خوفه عن طريق صوته المنقطع.

## ٦ - خيبة الأمل:

في البيت الحادي عشر ان ارتعاش ضميره وهاجسه وأمانيه كالمحمامه في يوم عاصف، ما هي الا خيبة أمل للشاعر.

## ٧ - صورة الاستهزاء:

في البيت الثاني عشر، لما رجع صفراليدين، تجمعت الأشباح حوله ضاحكة عليه لفشل مغامرته في الحرب.

## ٨ - صورة اليأس:

في البيت السابع عشر، حيث قتل الأفراح والمسرات وطلق الاماني والمنى، ومحى الحرب عن القلب، فما أشدّه قسوة على الانسان ، ثم يستمر في التصعيد هذا في البيت ٣٥، حيث انتشار ضباب القنوط والزوال عن مكانه، الى ان تقطع حبال آماله بالمرة، كما جاء في البيت ٣٦ وكتّى عنها باليأس لما قال البيت ٣٤ .

## ٩ - صورة الغضب والاضراب عن الطعام:

في البيت الثامن عشر، غضبه ظاهر في تحطيم الأوانى، وأضرابه عن الأكل والشرب فلم يربو ولم يشبّع.

## ١٠ - العمل المستمر:

جاء في البيت السادس فتشتت... انه العمل الدؤوب ليلاً ونهاراً وفي حركة لا تهدأ للشوق الى

١١ - صورة الموت:

في البيت التاسع عشر الاسراع في نظراته اليها تحديه لقتله ومصرعه، فما هي الا حسرات ولفظ أنفاسه الأخيرة.

## ١٢ - صورة العلم والجهل:

جاء في البيت الثامن... حيث أعطى للنجوم العقل والعلم مما يزيد التعامل معها والاستمرار في الرحلة.

١٣ - صورة الضلالة:

في البيت العشرين يعلل ضلاله لجهل أصحابه والعمل بآرائهم.

٤ - صورة التمسخر:

جاء في البيت العاشر البحر كم... حيث استخدم الشاعر باب المفاعةلة في المسائلة والتضاحك فاًهـا لتدلـ على الأخذ والعطاء بينه وبين البحر، تارة البحر يضحك سخرية و اخـرى الشاعر .

١٥ - صورة الأمانى:

جاء في البيت الرابع والعشرين إنّ الأمانِي مخفية مستورة عن الأنظار كاختفاء الهموم في الصدور .

١٦ - السماء الماطرة:

جاء في البيت الحادي والثلاثين: وأتى الشتاء... صورة حزينة كئيبة، حيث تساقط الدموع والصراخ والعويل متعالية لتدلّ على شدة المحنّة.

١٧ - صورة الرقص:

البيت التاسع رقصت... فالرقص في الظلام وتلاؤ الحببية هما يزيد الشوق لدى المحبوب، أكّها صورة وعاطفة امتنجنا معاً.

هذا وإنك لتجد المجاز في البيت السادس.... مددت... اصبعي: يعني يدي، اي بما أملك من قوة وحول، وفي البيت السابع عشر من اضلع: مجاز علاقة الجزئية وأراد منه القلب.

## سمو المعاني

يقول طالب ركي طالب: (إن شاعرنا جنح في شعره إلى الأفكار الثابتة التي لا يتغير مدلولها على مدى الأيام واهتم بمواضيع الأخلاق وأطلق علينا بنظرة اجتماعية عميقة فتحدث عن الأغنياء والفقراً وكان ناضجاً إلى أقصى حدود النضج في هذا الشعر واستطاع بالنهاية أن يطرح مواضيع متعددة وكان الشاعر الملاهم الذي آمن بقضية الإنسان وعدالتها وضرورة الحب والعيش بسلام).  
(١)

## الكلمة الأخيرة

هناك هفوات صدرت من الشاعر نشير إليها:

- ١- عدم تكرار حرف الجر عند العطف وذلك في البيت الثامن.... أو لجهلها.
- ٢- جاء في البيت الثالث عشر كلمة القصور جمعاً وأعادها في البيت الخامس عشر مفرداً فلو أتى بها جمعاً لكان أنساب للمعنى.
- ٣- قوله: دنوت لمصرعي في البيت التاسع عشر، كان من اللازم أن يقول دنوت من مصرعي كما صرّح بذلك صاحب لسان العرب ج ١ - ١٠٢١، حيث يقول: دنا الشيء من الشيء دنواً ودناوة: قرب.

## نتيجة البحث

- ١- إن القصيدة جاءت مليئة بالعاطفة والحبّة اتجاه الحبّية، كما في البيت ١٥ ، وهي أيضاً المسسيطرة على أرجاء القصيدة والمناسبة لها والعامل الحركي للشاعر للبحث عنها، في السماء والأرض والبحر والبادية و... و... بحيث يجعل القاريء أو السامع أن يتأثر بها وإن هذا العمل لا يقوم به إلا الشاعر المعطاء.
- ٢- بخلت العاطفة بمشاعر مختلفة، منها أن الأديب عجوز كما جاء في البيت الثالث، وأنه

غضوب كما جاء في البيت الثامن عشر وأنه يؤوس كما في البيت التاسع عشر والبيت الخامس والثلاثين، وأنه استسلم لليلأس وهو في وسط الطريق كما في البيت الواحد والعشرين، وهكذا كلّ بيت مملوء بالمشاعر المناسبة لمعاناتها.

٣- الصور جميعاً جاءت حيةً متحركةً نشطةً ذوات ادراك وشعور وفهم، مما يزيد التأثير (مع العاطفة الجياشة) على السامع أو القارئ.

٤- ان عامل السعادة والشقاء بيد الانسان لا غير، كما قال العزيز في كتابه الكريم: وكلّ انسان أزلمناه طائرةً في عنقه. (الاسراء/١٣).

\*\*\*





## المصادر

القرآن الكريم .

- أسرار البلاغة - عبدالقاهر الجرجاني - دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨ / ١٩٧٨ .
- أسس النقد الأدبي - أحمد أحمد بدوي - دار النهضة - القاهرة .
- ايليا ابوماضي - جورج دعمني سليم - دار المعارف - مصر .
- ايليا ابوماضي - عبد اللطيف شارة - دار صادر - بيروت - ١٩٦٥ .
- ايليا ابوماضي - خليل برهومي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ - ١٩٩٣ .
- البلاغة الواضحة - علي الجازم ومصطفى الأمين - ط ٢١ - ٢١ - دار المعارف - مصر - ١٣٨٩ / ١٩٦٩ .
- البيان و النبین - الجاحظ - تحقيق : فوزي عطوي - الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت .
- تأسيس الشيعة للعلوم الإسلامية - السيد حسن الصدر - طهران - الأعلمي .
- تاريخ الأدب العربي - عمر فروخ - ط ٢ - دار العلم للملائين - بيروت - ١٩٦٩ .
- تاريخ الأدب العربي - محمود البستاني - مجمع البحوث الإسلامية - بيروت - ١٤١٠ / ١٩٩٠ .
- تاريخ الأدب العربي - حنا الفاخوري - المكتبة البوليسية - بيروت .
- تاريخ الأدب العربي - جرجي زيدان - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٧ .
- تاريخ الأدب العربي - نكلسان - ترجمة صفاء حلوسي - المكتبة الأهلية - بغداد - ١٩٦٧ .
- تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان - ط ٣ - دار المعارف - مصر .
- توضيح نهج البلاغة - السيد محمد الشيرازي - دار تراث الشيعة - طهران .
- جواهر الأدب - أحمد الماشمي - ط ٢ - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- جواهر البلاغة - أحمد الماشمي - ط ١٢ - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- دائرة المعارف - محمد حسين الأعلمي - ط ١ - دار التعارف - بيروت .
- الدرجات الرفيعة - السيد علي خان المدنی - بصیرتی - قم - ١٣٩٧ .
- درس اللغة والأدب - محمد محمدی - ط ٤ - منشورات جامعة طهران - ١٣٩٣ / ١٩٧٣ .

- الدعاء والزيارة - السيد محمد الشيرازي - مركز الفكر الإسلامي - قم - ١٤٠٨ .
- ديوان ايليا اي ماضي - تقديم جبران خليل جبران - دار العودة - بيروت - ١٩٨٩ .
- روائع نجح البلاغة - جورج جرداق - ط ١ - مركز الغدير - إيران - ١٤١٧ / ١٩٩٧ .
- الروضة المختارة - صالح علي الصالح - منشورات الأعلمى - بيروت - ١٩٧٢ .
- شرح ديوان المتنبي - عبدالرحمن البرقوقي - دارالكتاب العربي - بيروت .
- شرح نجح البلاغة - ابن أبي الحميد - دارالمعرفة - بيروت .
- العدمة - ابن رشيق - ط ٢ - دارالجبل - بيروت - ١٩٧٢ .
- الأغاني - أبوالفرح الأصفهانى - إحياء التراث العربي - بيروت - ١٩٩٤ .
- الغدير - عبدالحسين الأميني - الكتاب العربي - بيروت - ١٩٦٧ .
- الفروق اللغوية - أبوهلال العسكري - المكتبة المرتضوية - قم - ١٣٥٣ .
- قاموس القرآن - الدامغاني - ط ١ - دارالعلم للملائين - بيروت - ١٩٧٠ .
- الكافش - السيد جواد المصطفوي - ط ٢ - دار الكتب الإسلامية - ١٣٩٠ .
- لسان العرب - محمد ابن مكرم ، ابن منظور - دار لسان العرب - بيروت - ١٩٧٠ .
- المثل السائر - ضياء الدين ابن الأثير - المكتبة المصرية - بيروت - ١٤٢٠ / ١٩٩٩ .
- مجمع البحرين - فخرالدين الطريحي - كتاب فروشي بوذرجمهي - طهران .
- الخط - محمد الأطاكى - بيروت - دارالشرق - ١٩٧٠ .
- المجانى الحديثة . الأب لويس شيخو - ط ٤ - انتشارات ذوى القرى - إيران - ١٤١٩ / ١٩٩٨ .
- المستطرف - محمد بن أحمد الأ بشيبي - دارالأمم - بيروت .
- المعجم المفهرس - محمد فؤاد عبدالباقي - دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٦٤ .
- مفاتيح الجنان . الشيخ عباس القمي - طهران - علمية إسلامية .
- المفردات - الراغب الأصفهانى - المكتبة المرتضوية - طهران .
- مع الحسين في نضنه - اسد حيدر - دار التعارف - بيروت .
- مقامات الحريري - أحمد بن عبدالمؤمن القيسى - المكتبه الثقافية - بيروت .
- موسوعة الامام علي(ع) - جورج جرداق - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٧٠ .
- النقد الأدبي - سيد قطب - بيروت .
- نهاية الأرب - أحمد بن عبدوالوهاب النويري - وزارة الثقافة المصرية - مصر .
- نجح البلاغة - صبحي الصالح - ط ١ - بيروت / ١٣٨٧ / ١٩٧٨ .
- ومصادر أخرى .